

\*Nabil Fazio | نبيل فازيو

## ما بعد الحداثة في الفكر الفلسفى المغربي: في أزمة التلقي والتوظيف

### Postmodernism in Moroccan Philosophical Thought: On the Crisis of Reception and Application

**ملخص:** تهدف الدراسة إلى فهم كيفية تلقي الفكر الفلسفى المغربي لخطاب ما بعد الحداثة وإشكاليته الرئيسية، والتفكير في أثر رؤيته في توجيه تيارات هذا الفكر. ولا تتوخى التاريخ لعملية التلقي، بل تقصد استشكال "مشروعية استضافة خطاب ما بعد الحداثة وأسئلته الكبرى" في سياق فكري له سماته وخصائصه التي تعقد توظيف هذا الخطاب، وتحمل على التساؤل عن طبيعة علاقتنا الممكنة به. لذلك، تطلق من بيان بعض أهم تجليات ذلك التوظيف، في مستوىه الفلسفى والمجتمعى، ثم تنتقل إلى تحليل التلقي النقدي لهذا الخطاب مع مفكرين رفضوا إشكاليته واعتبروها برائحة عن السياق الفكري العربى والمغربى، وتقف أخيراً على بعض محاولات تصحيح فهمنا لمفهوم ما بعد الحداثة، وتنتهى إلى التشديد على أن الأخير لا يمثل قطيعة نهائية مع التراث الحداثى، وإنما هو لحظة من لحظات تطور الحداثة نفسها، وأن مشروعية تلقيه عندنا مرتبطة بتحقيق غايات المشروع الحداثى العربى نفسه.

**كلمات مفتاحية:** ما بعد الحداثة، الفكر الفلسفى المغربي، الفكر العربى المعاصر، الكونية والخصوصية.

**Abstract:** This study analyses the reception and impact of postmodern discourse within Moroccan philosophical thought. It problematizes the legitimacy of inviting the discourse into the Moroccan intellectual context, marked by its own particularities that complicate the application of postmodern discourse. The study clarifies its philosophical and societal usage, then analyses aspects of the critical reception it has received by scholars who saw the preoccupation with postmodern discourse as nothing more than a sign of the alienation of Arab–Moroccan philosophical thought from its social and political reality. The study concludes by emphasizing the necessity of adjusting our understanding of this discourse and considering it a stage in the evolution of modernity itself, the legitimacy of which rests on the need to continue reflecting on the Arab modernist project.

**Keywords:** Postmodernism, Moroccan Philosophical Thought, Contemporary Arab Thought, Universality and Particularity.

\* أستاذ الفلسفة في كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس، الرباط.

Professor of Philosophy at the Faculty of Educational Sciences, Mohammed V University, Rabat.

Email: philofazio\_nabil@hotmail.com

## مقدمة

بصرف النظر عن مضمون مفهوم "ما بعد الحداثة" ورؤيتها التي اتبه إليها جل المهتمين به<sup>(1)</sup>، فإن حضوره في الفكر الفلسفي المغربي بات يطرح جملة من الأسئلة التي تجاوزت التفكير في مضمونه إلى مستوى التساؤل عن مشروعه باعتباره خطاباً فلسفياً "كونياً" ، ما انفك يكشف عن أزمة وعياناً بانتمائنا إلى الحداثة وأفقها التاريخي، ويدعونا إلى الإسهام في نقدها وسردية نهايتها التي هيمنت على كثير من المجالات الثقافية الغربية المعاصرة. ويحمل ذلك الخطاب كثيراً من الباحثين على الاعتداد بمنظوره الفلسفي التفكيري للتحرر من الأسئلة العتيدة، التي ما انفك تتسبد بالفكر الفلسفي المغربي، من قبيل مسألة الهوية، والحرية، والحق، والذات، والاختلاف ... إلخ.

لهذا الانشغال بخطاب ما بعد الحداثة أسباب تفسّره هي اقترانه، أولاً، بأزمة الوعي الغربي المعاصر التي تجلت في النقد الجذري للحداثة ولو ضعية المجتمعات الغربية منذ تصاعد المجتمع الصناعي ومنظوره التشبيئي والاستهلاكي للإنسان والعالم، ما حمل الفلسفة على التساؤل عمّا تبقى من معنى للوجود الإنساني في ظل هذا المجتمع الذي تحدّر من المشروع الحداثي التئوي نفسه، وأدت "أمراضه" تعلن انحسار العقلانية الغربية وعجزها عن تحقيق وعودها الإنسانية الكبرى، التي تأتي الحرية والسلم والعدالة على رأسها<sup>(2)</sup>. وأتى تلقي الفكر الفلسفي المغربي لخطاب ما بعد الحداثة، ثانياً، في سياقٍ تضخم فيه النقاش حول الغرب وعلاقتنا به، إذ بعد فترة غلب عليها التجاذب بين دعاة الحداثة المتحمسين لتوطينها في العالم العربي من خلال سيرة التحديث من جهة، والقوى المحافظة التي لم تر في الحداثة الغربية إلا خطراً يهدد الذات الإسلامية وتراثها من جهة أخرى، وجد المستغلون بالفلسفة أنفسهم أمام نقد يمارسه العقل الفلسفي الغربي ذاته على الحداثة ويجربها إلى المسائلة، وهو ما ألقى خصومها فيه دليلاً قاطعاً على صحة موقفهم المبدئي الرافض لها، وعلى تهافت دعوة الحداثيين، ووجد هؤلاء أنفسهم ملزمين بالدفاع عن المشروع الحداثي من موقع الوضع التاريخي للعالم العربي الذي يسوغ حديثهم عن الحاجة إلى الحداثة، ويستدعي التمييز بين سياق نشأة خطاب ما بعد الحداثة في الغرب، وسياق تلقيه في الفكر العربي. لكن الانجداب إلى ذلك الخطاب لم يكن معزولاً عن سعي المفكرين المغاربة، والعرب عموماً، إلى تجديد مناهج فكرهم ورؤيتهم، وقد وجدوا في "الثورة" المنهجية التي حلت بها فلسفات ما بعد الحداثة ضاللتهم في كثير من الأحيان، خاصة في مرحلة شهدت التشكيك في صلاحية المنهج الماركسي المادي والبنيوي، وفتحت الباب واسعاً أمام التساؤل عن النموذج المنهجي الذي ينبغي الاهتداء به في التأسيس للفلسفة قادرة على فهم شرط الإنسان المعاصر. وقد ألقى هذا الهاجس بظلاله على الفكر الفلسفي المغربي الذي حاول إعمال المنظور المنهجي ما بعد الحداثي في مقاربة إشكالية التراث وفهم المجتمع وقضاياها.

(1) ديفيد هارفي، حالة ما بعد الحداثة: بحث في أصول التغيير الثقافي، ترجمة محمد شيئاً (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005)، ص 214؛ وحول مصطلح ما بعد الحداثة وتاريخه ينظر: الرواوي بغور، ما بعد الحداثة والتئوي: موقف الأنطولوجيا التاريخية (بيروت: دار الطليعة، 2009)، ص 12.

(2) Jürgen Habermas, *Le discours philosophique de la modernité* (Paris: Gallimard, 2011), p. 42.

يعني هذا القول، في جملة ما يعنيه، أنّ حضور خطاب ما بعد الحداثة في الفكر الفلسفـي المـغـربـي لم يقتصر على البحـوثـ التي تناولـتـ مـضمـونـهـ وـعـرـفـتـ بـأـبـرـزـ رـمـوزـهـ، وإنـماـ اـتـخـذـ حـضـورـهـ ذـاكـ صـورـةـ "مـفـعـولـ"ـ فـكـريـ تـماـيـزـتـ إـزـاءـهـ مـوـاـقـفـ الـمـشـتـغـلـيـنـ بـالـفـلـسـفـةـ؛ـ بـيـنـ مـنـ شـدـدـ عـلـىـ كـوـنـيـتـهـ وـانـخـرـطـ فـيـ التـفـكـيرـ فـيـ أـسـتـلـتـهـ وـالـزـجـ بـهـ فـيـ مـدارـاتـ الـفـلـسـفـيـ الـمـغـربـيـ،ـ وـمـنـ اـعـتـبـرـهـ خـطـابـاـ خـاصـاـ بـالـسـيـاقـ الـغـرـبـيـ الـحـدـاثـيـ وـلـاـ عـلـاـقـةـ لـهـ بـالـوـضـعـ الـحـالـيـ لـلـفـلـسـفـيـ الـمـغـربـيـ وـالـعـرـبـيـ،ـ وـأـنـ العـنـيـاـتـ بـهـ لـاـ تـشـيـ إـلـاـ بـاسـتـلـابـ الـوـعـيـ الـفـلـسـفـيـ عـنـدـنـاـ وـغـرـبـتـهـ عـنـ وـاقـعـهـ وـشـرـطـهـ السـيـاسـيـ وـالـاجـتمـاعـيـ وـالـتـارـيـخـيـ.ـ مـنـ هـنـاـ نـتـسـاءـلـ:ـ هـلـ يـمـثـلـ خـطـابـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ أـفـقـاـ لـلـفـلـسـفـيـ فـيـ الـمـغـربـ؟ـ وـكـيـفـ تـلـقـيـ هـذـاـ الـأـخـيـرـ إـشـكـالـيـةـ ذـلـكـ الـخـطـابـ؟ـ وـهـلـ يـمـكـنـ فـصـلـ الـبـعـدـ الـمـنـهـجـيـ لـفـلـسـفـةـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ عـنـ رـؤـيـتـهـاـ إـلـىـ إـلـاـنـ وـالـعـالـمـ؟ـ

## أولاً: في مسارات التلقي العام لخطاب ما بعد الحداثة

قد لا يكون مهمـاـ،ـ كـثـيرـاـ،ـ تـبـيـعـ مـرـاـحـلـ التـلـقـيـ الـعـرـبـيـ لـخـطـابـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ فـيـ حـيـزـهـ الـفـلـسـفـيـ،ـ بـقـدـرـ ماـ يـهـمـ تـبـيـعـ مـفـعـولـ هـذـاـ الـخـطـابـ وـأـثـرـهـ فـيـ تـشـكـلـ بـعـضـ الـمـوـاـقـفـ الـتـيـ اـرـتـفـعـتـ بـهـ إـلـىـ مـسـتـوـيـ الـإـشـكـالـيـةـ الـفـلـسـفـيـةـ.ـ وـيـمـكـنـ القـولـ إـنـ خـطـابـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ ظـلـ يـتـمـاهـيـ،ـ فـيـ ذـهـنـ جـلـ الـمـتـفـلـسـفـةـ الـمـغـارـبـةـ،ـ مـعـ الـمـقـارـبـةـ الـفـرـنـسـيـةـ لـمـوـضـوـعـةـ نـقـدـ الـحـدـاثـةـ الـغـرـبـيـةـ،ـ وـمـاـ نـجـمـ عـنـهـ مـنـ حـفـرـ فـيـ تـشـكـلـاتـهـ الـمـفـاهـيمـيـةـ وـالـأـيـديـوـلـوـجـيـةـ،ـ وـتـفـكـيـكـ سـرـدـيـاتـهـ الـكـبـرـيـ،ـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ اـقـتـرـانـهـ الـمـبـدـئـيـ بـسـيـاقـ الـنـقـدـ الـأـلـمـانـيـ لـلـحـدـاثـةـ<sup>(3)</sup>ـ.ـ فـقـدـ تـعـرـفـ هـؤـلـاءـ إـلـىـ نـقـدـ مـيـشـيلـ فـوـكـوـ Michel Foucault (1926ـ1984)،ـ وـجـوـنـ فـرـانـسـواـ لـيـوـتـارـ (1924ـ1998)،ـ وـجـاـكـ دـرـيـداـ Jaques Derrida (1930ـ2004)،ـ وـجـاـنـ بـوـدـرـيـارـ Jean Baudrillard (1929ـ2007)ـ الـذـيـنـ يـمـثـلـونـ،ـ بـحـسـبـ يـورـغـنـ هـابـرـمـاسـ (1929ـ)،ـ الـنـقـدـ الـجـذـريـ الـرـافـضـ لـلـحـدـاثـةـ وـالـمـعـلـنـ عـنـ فـشـلـ مـشـرـوـعـهـ الـفـلـسـفـيـ،ـ قـبـلـ أـنـ يـنـفـتـحـ بـاـحـثـوـنـ آـخـرـوـنـ عـلـىـ خـطـابـ هـذـاـ الـفـلـيـسـوـفـ الـذـيـ نـبـهـ إـلـىـ مـنـزـلـقـاتـ هـذـاـ الـضـرـبـ مـنـ الـنـقـدـ،ـ وـرـسـخـ فـيـ الـفـلـسـفـيـ الـمـعـاـصـرـ إـمـكـانـيـةـ الـنـظـرـ إـلـىـ لـحـظـةـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ بـحـسـبـاـنـهاـ مـرـاجـعـةـ لـاـنـحـرـافـ الـعـقـلـ الـحـدـاثـةـ عـنـ الـأـنـوـارـ وـمـبـادـئـهـ الـكـبـرـيـ.ـ وـلـئـنـ كـانـ بـعـضـ الـدـارـسـيـنـ قـدـ رـكـزـ عـلـىـ نـقـدـ الـمـيـتـافـيـزـيـقـاـ الـغـرـبـيـةـ بـاـعـتـارـهـاـ التـرـيـةـ الـتـيـ فـيـهـاـ يـنـعـنـتـ مـفـاهـيمـ الـفـكـرـ الـمـعـاـصـرـ الـأـسـاسـيـةـ،ـ عـلـىـ نـحـوـ يـوـحـيـ بـاـكـتـمـالـ الـحـدـاثـةـ الـغـرـبـيـةـ وـبـدـاـيـةـ مـرـحـلـةـ جـدـيـدـةـ فـيـ مـسـارـ الـتـارـيـخـ وـالـفـكـرـ الـغـرـبـيـنـ تـمـثـلـ لـهـاـ لـحـظـةـ "ـمـاـ بـعـدـ"ـ الـحـدـاثـةـ،ـ فـإـنـ الـمـتـحـفـظـيـنـ عـلـىـ الـنـقـدـ الـجـذـريـ لـلـحـدـاثـةـ مـاـ اـنـفـكـوـ يـنـبـهـوـنـ إـلـىـ أـنـ مـفـهـومـ "ـمـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ"ـ لـاـ يـحـيلـ فـيـ هـذـاـ السـيـاقـ عـلـىـ أـيـ قـطـيـعـةـ فـيـ مـسـارـ الـحـدـاثـةـ،ـ بـقـدـرـ مـاـ هـوـ كـنـايـةـ عـلـىـ حـالـةـ أـوـ وـضـعـيـةـ اـهـتـرـتـ فـيـهـ أـسـسـ الـمـجـتمـعـ الـحـدـاثـةـ بـعـدـ أـنـ بـلـغـتـ مـبـادـئـهـ ذـرـاـهـ؛ـ إـنـهـاـ حـدـاثـةـ مـفـرـطـةـ أـوـ سـائـلـةـ غـدـاـ فـيـهـاـ كـلـ شـيـءـ مـنـفـلـتـاـ مـنـ قـبـصـةـ الـتـعـيـنـ وـالـتـحـدـيدـ<sup>(4)</sup>ـ،ـ وـأـسـسـ فـيـهـاـ الـوـضـعـ الـبـشـرـيـ نـفـسـهـ مـحـلـ تـشـكـيـكـ وـنـقـدـ.ـ لـذـكـ اـتـخـذـ خـطـابـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ،ـ وـفـقـاـ لـهـذـهـ الـقـرـاءـةـ،ـ صـورـةـ تـفـكـيـرـ قـلـقـ فـيـ وـضـعـيـةـ الـمـجـتمـعـ الـحـدـاثـةـ وـأـمـرـاـضـهـ.ـ وـيـتـضـعـ أـنـ الـخـلـافـ الـقـائـمـ بـيـنـ الـدـارـسـيـنـ الـعـربـ بـشـأـنـ إـذـاـ مـاـ كـانـ عـبـارـةـ "ـمـاـ بـعـدـ"ـ ذاتـ مـعـنـىـ زـمـنـيـ تـحـقـيـقـيـ أـمـ أـنـهـاـ تـحـيلـ إـلـىـ تـطـورـ ذـاتـيـ لـمـسـارـ

(3) Perry Anderson, *Los orígenes de la Postmodernidad* (Barcelona: E, Anagrama, 2000), p. 112.

(4) زـيـجمـونـتـ بـاـوـمـانـ،ـ الـحـدـاثـةـ السـائـلـةـ،ـ تـرـجـمـةـ حـجاجـ أـبـوـ جـبرـ (بـيـرـوـتـ:ـ الشـبـكـةـ الـعـرـبـيـةـ لـلـأـبـحـاثـ وـالـشـرـ،ـ 2016ـ)،ـ صـ22ـ

العقل الغربي، إنما هو راجع إلى تصورنا لطبيعة خطاب ما بعد الحداثة نفسه؛ فالذين يرون فيه إيدانًا ببداية مرحلة تاريخية وفكريّة جديدة يعتبرونه إعلانًا عن موت الحداثة وانقضاء زمنيتها، واعترافًا جهيرًا بفشل المشروع الحداثي وانقلابًا جذريًا على مستوى قواعد إنتاج المعنى والحياة<sup>(5)</sup>؛ لذلك تبدو فيه "ما بعد"، في هذا الصدد، ذات دلالة تأريخية وتحقيقية ترسم الخطوط الفاصلة بين حقبتين متمايزتين في الأزمنة الحديثة. أما الذين اعتبروا ذلك الخطاب تعبيرًا عن مراجعة الحداثة لمسارها وتقويمًا لها، فإنهم لا يُضفون على تلك العبارة معنى تاريجيًا، تعاقبيًا، بقدر ما يعتبرونها لحظة تعميق للحداثة وتعبيرًا عن التغيرات الجذرية التي عاشتها، وما زالت تعيشها المجتمعات الغربية المتقدمة.

ووجد بعض المتفلسفون العرب في إشكالية ما بعد الحداثة مسألة ينبغي الانخراط في تفكيرها والإسهام في الإجابة عنها. وألقووا في "النفس الكوني" لنقد الحداثة ما يقيمون به الدليل على مشروعية اختيارهم، وسرعان ما انتبهوا إلى أنّ مسارات الحداثة فرست على الإنسانية جماء وضعًا فلسفياً - ميتافيزيقياً - يحتم على الجميع الانخراط فيه والانشغال بمصائره التي هي ليست، من منظور هذا الخطاب، غير مصير الإنسانية ومستقبلها نفسه. وسرعان ما أخذ البحث العربي في فلسفة فریدریش نیتشر (1804-1850) أو مارتین هایدگر (1889-1962) أو لیوتار أو دریدا أو بودریار، أو في موضوع من موضوعات الفن المعاصر أو الإستیمولوجیا المعاصرة، ينزلق إلى تبني الموقف النقدي من الحداثة وعقلانيتها الذي يصدر عنه هؤلاء، وإسقاطه على وضعية الفكر الفلسفی العربي حتى من دون مراعاة خصوصيته ولا التساؤل إذا ما كانت أسئلة وضعية ما بعد الحداثة أسئلةً يمكن أقامتها مع وضعية العالم العربي، وهو ما قاد إلى بلورة نقد للحداثة من داخل الدوائر الفلسفية العربية، يستلهم النقد المعاصر لنتائجها في صياغة مفهوم لها يتنكب معاطبها التي عابها عليها خطاب ما بعد الحداثة في الأوساط الفكرية الغربية. وتزامن ذلك مع اتساع دوائر البحث في الفلسفة الغربية المعاصرة وإقبال الباحثين العرب على نصوصها تحليلًا وترجمةً. ولعل ما حفّزهم على السير في هذا الاتجاه اقتران تلك الفلسفة بأزمة الوعي الغربي وما ترتب عليه من مراجعات مستمرة لنمذج العقلانية الحديثة ورؤيتها الضمنية إلى الإنسان والعالم، واقتران ذلك كله بفقد المجتمع الحديث ومظاهر أزمته التي تتأصل، وفقاً لهذا النقد، في منظور ميتافيزيقي يضرب بجذوره في تاريخ الفكر الغربي نفسه؛ إذ أوحى لهم هذا النقد بإمكانية الانتظام في مسار مراجعة الحداثة والإسهام فيه من موقع كونيتها وكونية النقد الجذري الموجه إليها. وعلى هذا النحو من النظر، غدت قراءة هایدگر للتراث الفلسفی العربي مدخلاً إلى نقد مفهوم التراث عندنا، كما أوعزت تفكيرية دریدا إلى كثير من الباحثين العرب بإمكانية تفكير عالم النص الميتافيزيقي في السياق العربي الإسلامي، ومحو الحدود التي رسمتها عقلانية الميتافيزيقا بين دوائر الكتابة والمعنى، بل وجدوا في تشديده - كما في تشديد فوكو من قبل - على التفكير في المنسى والهامش وفي الوجه الخفي والمتورّث للحقيقة، ما يخرجون به من ضيق دراسة الخطاب الرسمي / العقلاني إلى عالم الهامش وأسئلته. وبناءً على ذلك، بدت أزمة التلقّي العربي للحداثة غير منفصلة عن موجة نقدتها في الغرب؛ بل سرعان ما طفق أنصار هذا الخطاب يتهلون

(5) Jean François Lyotard, *La condition postmoderne* (Paris: Minuit, 1979), p. 9.

منه عناصر تصور "عربي" للحداثة يلحظ طابعها الكوني ويتيح للفكر العربي التموضع في جغرافيا المعاصرة بعد أن نجحت التقنية، التي هي الوجه الآخر للميتافيزيقا، في توحيد العالم وفرض "وضع ميتافيزيقي" على الجميع في نظرهم.

بيد أنّ هذه الخطوة لم تلق دائمًا الترحاب الذي توقعه أصحابه عندما استبدلـوا إمكانية استقدام إشكالية ما بعد الحداثة والزج بها في دوائر الفكر العربي وثقافته ووضعـه الاجتماعي والسياسي، لما تتضمنـه من إسقاط للنقد المعاصر، الذي هو سليل تطور تاريخي طبيعي للحداثة نفسها، على واقع عربي لم يتشرـب بعد القدر اللازم من قيمـ الحـدـاثـةـ وـعـقـلـانـيـتهاـ حتـىـ يـشـرـعـ فـلـاسـفـةـ فيـ نـقـدـهـ وـالـدـعـوـةـ إلىـ تـجـاـوـزـهـ<sup>(6)</sup>. فـحـاجـتـناـ إـلـىـ العـقـلـانـيـةـ السـيـاسـيـةـ، كـمـاـ تـجـلـتـ فـيـ نـظـرـيـةـ العـقـدـ الـاجـتـمـاعـيـ وـالـنـظـرـيـاتـ المـتـنـاسـلـةـ مـنـهـ، لـاـ تـزـالـ قـائـمـةـ فـيـ ظـلـ تـغـوـلـ الـاسـتـبـادـ وـسـطـوـتـهـ عـلـىـ الـحـيـاةـ السـيـاسـيـةـ فـيـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ؛ـ وـالـذـاـتـ الـأـخـلـاـقـيـةـ الـمـقـتـدـرـةـ لـمـ تـفـصـلـ عـنـ مـخـتـلـفـ أـشـكـالـ الـوـصـاـيـةـ الـتـيـ تـحـولـ دونـ بـلـوغـهـاـ عـتـبةـ الـتـنـوـيرـ وـتـكـرـسـ اـفـتـقـارـهـ إـلـىـ الشـعـاجـاءـ عـلـىـ اـسـتـعـمـالـ الـعـقـلـ وـالـتـشـرـيـعـ الـذـاتـيـ لـوـجـوـدـهـ، وـلـاـ يـزالـ الـوـعـيـ الـدـيـنـيـ عـنـدـنـاـ فـيـ حـاجـةـ إـلـىـ نـقـدـ يـعـيدـ تـرـيـبـ صـلـةـ الـإـنـسـانـ بـالـمـطـلـقـ وـيـرـسـمـ الـحـدـودـ بـيـنـ الـدـيـنـيـ وـالـسـيـاسـيـ وـالـأـخـلـاـقـيـ فـيـ الـوـعـيـ الـعـرـبـيـ الـمـعـاـصـرـ عـامـةـ، وـالـمـغـرـبـيـ خـاصـةـ. لـذـلـكـ يـبـدوـ اـسـتـلـهـامـ الـمـقـارـبـاتـ الـحـدـاثـةـ لـلـدـيـنـ، كـتـلـكـ الـتـيـ صـاغـهـ بـارـوخـ Spinozـ (1632ـ 1677)، وـإـيمـانـوـيلـ كانـطـ Kantـ (1724ـ 1804)، وـجـورـجـ فـيـلـهـلـمـ فـرـيدـرـيـشـ هـيـغـلـ Georg Wilhelm Hegelـ (1834ـ 1868)، فـرـديـرـيـكـ شـلـايـرـ ماـخـ Frédéric Schleiermacherـ (1770ـ 1831)، تـكـرـيـسـ فـهـمـ تقـلـيـدـيـ لـلـدـيـنـ لـاـ يـلـحـظـ مـقـتـضـيـاتـ وـضـعـهـ فـيـ مـنـظـوـمـةـ الـمـجـتـمـعـاتـ الـحـدـاثـةـ. وـيـمـكـنـ أـنـ نـعـمـ الـنـقـدـ عـيـنـهـ لـيـشـمـلـ كـثـيـرـاـ مـنـ مـجـالـاتـ الـفـكـرـ الـفـلـسـفـيـ، كـالـجـمـالـيـاتـ، وـفـلـسـفـةـ الـعـلـمـ، وـفـلـسـفـةـ الـتـارـيخـ، وـفـلـسـفـةـ الـقـانـونـ وـالـسـيـاسـةـ ...ـ إـلـخـ؛ـ حـيـثـ اـتـضـعـ أـنـ الـوـضـعـ الـحـضـارـيـ الـذـيـ يـعـيـشـهـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ لـاـ يـأـذـنـ بـاسـتـقـدـامـ الـنـقـدـ الـجـذـرـيـ لـلـحـدـاثـةـ وـعـقـلـانـيـتهاـ وـقـيـمـهـاـ، وـأـنـتـاـ لـاـ تـزـالـ فـيـ حـاجـةـ إـلـىـ اـسـتـيـعـابـ مـكـتـسـبـاتـ الـحـدـاثـةـ وـتـشـرـبـ قـيمـهـاـ قـبـلـ أـنـ نـفـكـرـ فـيـ نـقـدـهـ أـوـ الـرـدـةـ عـلـيـهـاـ وـنـقـضـهــ.ـ وـهـكـذـاـ،ـ تـكـونـ الـدـعـوـةـ إـلـىـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ فـيـ السـيـاقـ الـعـرـبـيـ الـراـهـنـ دـعـوـةـ "ـفـارـغـةـ"ـ وـمـبـتـورـةـ مـنـ مـضـمـونـهـ الـوـاقـعـيـ،ـ بـلـ تـغـدوـ،ـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ نـقـادـهـ،ـ صـدـىـ لـمـوـجـةـ نـقـدـ جـذـرـيـ أـفـرـزـهـ تـقـدـمـ الـغـرـبـ وـمـرـاجـعـتـهـ لـعـقـلـانـيـتـهـ وـأـسـسـ

(6) ينظر في هذا الصدد النقد الجذري الذي وجّهه بعض المفكرين العرب، مثل طيب تيزيني وصادق جلال العظم وعبد الوهاب المسيري إلى خطاب ما بعد الحداثة، حيث يتعلّق الأمر بإدانة باسم انتفاء هذا الخطاب إلى الأفق التاريخي والفكري الأوروبي - العربي، وبالتالي تشدّيد على صعوبة استقدامه إلى الأوساط الثقافية العربية، فالأمر يتعلّق بإشكالية غربية منفصلة عن سياقها العربي في نظر أصحاب هذا النقد. ينظر على سبيل المثال لا الحصر: عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، سلسلة حوارات لقون جديـدـ (دمـشـقـ: دـارـ الـفـكـرـ، 2003ـ)، صـ 81ـ وـمـاـ بـعـدـهـ؛ـ وـيـنـظـرـ نـصـوـصـ لـمـفـكـرـيـنـ عـربـ فيـ هـذـاـ المـوـضـوـعـ:ـ ماـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ: 1ـ تـحـدـيـدـاتـ،ـ إـعـدـادـ وـتـرـجـمـةـ مـحـمـدـ سـيـلـاـ وـعـدـ السـلـامـ بـعـدـ الـعـالـيـ،ـ دـفـاتـرـ فـلـسـفـيـةـ 13ـ (الـدـارـ الـبـيـضاـءـ:ـ دـارـ تـوبـقـالـ لـلـشـرـ،ـ 2007ـ)،ـ صـ 60ـ.

(7) Martin Heidegger, *Phénoménologie de la vie religieuse*, Jean Greisch (trad.) (Paris: Gallimard, 2012), p. 84; Hans-Georg Gadamer, *Les chemins de Heidegger*, Jean Grondin (trad.) (Paris: Vrin, 2002), p. 39.

ثقافته، وهي تذهب عن "خصوصية" العالم العربي وطبيعة أسئلته التي يأتي في مقدمتها سؤال الحاجة إلى الحداثة وقيمها الأنوارية. ويزداد هذا النقد حدةً كلما نظرنا إلى ما بعد الحداثة بحسبانها مرحلةً طبيعية من تقدم التاريخ الغربي، حيث تبدو نتيجةً من نتائج تقدم العقلانية الغربية وتجليًا من تجليات مراجعتها المستمرة التي فرضتها أزمة المجتمعات الغربية منذ نهاية القرن التاسع عشر<sup>(8)</sup>، ما يعني أنّ خطاب ما بعد الحداثة يبقى سليل تلك الأزمة وجوابًا عن أسئلتها، وهو بذلك غريب عن المجتمع العربي الذي لم يدرك بعد المستوى التاريخي عينه من التقدم الذي يعيشه المجتمع الغربي. فكل استقدام لإشكالية ما بعد الحداثة قد لا يكون غير تماهٍ مع تاريخ آخر، وتكريراً لغربية الذات العربية عن نفسها، لنكون أمام ما سماه فيصل دراج (1942-)"ما بعد الحداثة في عالم بلا حداثة"<sup>(9)</sup>.

يبدأ أنّ هذا الموقف السلبي من خطاب ما بعد الحداثة لم يكن ليمنع مثقفين عرباً آخرين من الإفادة من النقد المعاصر للحداثة في صياغة تصورهم لها اليوم، على الرغم من انتصارهم لقيم العقل والعقلانية المتحرّرة من الحداثة والفكر الأنواري. وقد اعتبر بعضهم أنّ ذاك النقد يسلط الضوء على أعطاب العقلانية الغربية، ويوسّع أمامنا الباب لتجنّب الواقع فيها في تجربة توطين الحداثة وتحقيق الاستقلال "التاريخي للذات العربية"، بما يعنيه ذلك من ضرورة تجنب النتائج المأساوية للعقلانية الغربية التي أفرغت الإنسان من كينونته الإنسانية وكرّست استلامه، من دون أن يقودهم ذلك إلى الكفر بالعقل الحداثي أو ادعاء إبداله بنموذج آخر معاير له. فتوطين الحداثة في الثقافة العربية يستلزم، وفقاً لهؤلاء، الوعي بمتزلقاتها وأخطار الثاوية في عقلانيتها التي كشف عنها النقد المعاصر للفكر والمجتمع الغربيّين، وتصويب نظرتها الضمنية على نحو يحول دون الواقع في انحرافات عقلانيتها. ويستلهم هذا النقد، في جوهره، رؤية مدرسة فرانكفورت النقدية إلى الحداثة والمجتمع الحديث، ويرى دعاته أن "العقل المبنيق" - إذا جاز لنا استعارة تسمية محمد أركون لنموذج العقلانية النقدية الذي أفرزه النقد المعاصر للحداثة - يستوعب مكتسبات العقلانية الحداثية ومقتضيات نقدها، ويعيد الطريق لتوطين التنوير وقيمته في الثقافة العربية الإسلامية في الآن ذاته.

وتمثل هذه المواقف الثلاثة أبرز صنوف التلقّي المغربي لخطاب ما بعد الحداثة الذي جرى في ضوء الانشغال بسؤال الحداثة و موقفنا منها؛ فالمتحمسون له غالباً ما ينتهون إلى إسقاط أسئلته وإشكالياته على الفكر الفلسفـي العربي و واقعـه، ولا يرون ضـيراً في الانخراطـ في التـفكـيرـ في تلكـ الأسئـلةـ منـ موقعـ كونـيتهاـ التيـ نـظـلـ، نـحنـ أـيـضاـ، مـدعـوـينـ إـلـىـ الانـخـراـطـ فـيـهاـ وـمـلـزـمـيـنـ بـذـلـكـ. وـيمـكـنـ أـنـ نـمـثـلـ لهـذـاـ التـوـجـهـ بـأـعـمـالـ عـبـدـ الـكـبـيرـ الـخـطـيـيـ (1938ـ2009ـ) وـعـبـدـ السـلـامـ بـنـعـبدـ الـعـالـيـ (1945ـ) الـتـيـ تـنـمـيـ عـنـ وـعـيـ بـالـحـاجـةـ إـلـىـ ذـلـكـ الـانـخـراـطـ، وـبـحـثـيـةـ "الـوـضـعـ الـمـيـتـافـيـزـيـقـيـ" الـذـيـ فـرـضـهـ الـفـكـرـ الـمـعـاصـرـ

(8) تيري إيلغتون، *أوهام ما بعد الحداثة*، ترجمة مني سلام (بيروت: أكاديمية الفتن، 1996)، ص 16؛ كريستوفر بتلر، *ما بعد الحداثة: مقدمة قصة حداً، تجاه نفسي*، عبد الرؤوف (القاهرة: مؤسسة هنداوى ، 2017)، ص 12.

(9) فيصل دراج، "ما بعد الحداثة في عالم بلا حداثة"، مجلة الكرم، العدد 51 (1997)، ص. 6.

على وعيـناـ الفلـسـفيـ<sup>(10)</sup>. وـفـيـ مـقـابـلـ ذـلـكـ، يـمـكـنـ أـنـ نـمـيـزـ فـيـ مـوـقـفـ الـحـدـاثـيـنـ الـمـغـارـبـيـةـ بـيـنـ اـتـجـاهـيـنـ؛ يـتـصـرـ أـوـلـهـمـاـ لـلـحـدـاثـةـ وـقـيمـهـاـ وـلـاـ يـرـىـ فـيـ التـرـوـيـجـ لـنـقـدـهـاـ إـلـاـ خـدـمـةـ لـكـلـ الـتـيـارـاتـ الـلـاـعـقـلـانـيـةـ الـتـيـ لاـ تـزـالـ تـسـيـطـرـ عـلـىـ الـمـجـالـ الـفـكـرـيـ الـعـرـبـيـ؛ إـذـ يـتـعـلـقـ الـأـمـرـ بـقـرـاءـةـ تـتـصـرـ لـلـحـدـاثـةـ وـتـعـتـرـهـاـ الـأـفـقـ الـفـكـرـيـ وـالـتـارـيـخـيـ الـوـحـيدـ الـمـتـاحـ أـمـامـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ الـيـوـمـ، وـهـيـ الـقـرـاءـةـ الـتـيـ نـجـدـهـاـ عـنـ عـنـدـ عـبـدـ الـلـهـ الـعـرـوـيـ (1933ـ)، وـتـلـقـيـ بـظـالـلـهـاـ عـلـىـ مـوـقـفـهـ الـرـافـضـ لـخـطـابـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ، حـيـثـ يـنـبـهـنـاـ إـلـىـ خـطـوـرـةـ تـوـظـيفـ الـتـيـارـاتـ الـتـقـلـيـدـيـةـ لـخـطـابـ نـقـدـ الـعـقـلـانـيـةـ الـحـدـاثـيـةـ كـمـاـ يـمـكـنـ أـنـ نـلـفـيـهـ، مـثـلـاـ، عـنـدـ عـبـدـ الرـحـمـنـ (1944ـ). فـيـ حـيـنـ لـاـ يـرـىـ الـمـوـقـفـ الـثـانـيـ فـيـ الـاـسـتـنـادـ إـلـىـ الـنـقـدـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـيـ مشـكـلـةـ فـيـ حـدـ ذـاـتـهـ، وـيـعـتـبـرـ إـلـاـفـادـةـ مـنـ كـشـفـهـ عـنـ مـعـاطـبـ الـعـقـلـانـيـةـ الـحـدـاثـيـةـ وـمـتـرـلـقـاتـهـ جـهـدـاـ نـقـدـاـ يـبـغـيـ إـلـاـفـادـةـ مـنـهـ فـيـ بـنـاءـ تـصـورـنـاـ لـلـعـقـلـ وـالـعـقـلـانـيـةـ كـمـاـ لـمـوـقـفـنـاـ مـنـ الـغـرـبـ وـالـحـدـاثـةـ، وـهـذـاـ هـوـ الـمـوـقـفـ الـذـيـ دـافـعـ عـنـهـ مـحـمـدـ عـابـدـ الـجـابـرـيـ (1937ـ2010ـ) فـيـ سـيـاقـ تـصـورـهـ لـلـحـدـاثـةـ، بـلـ قـادـ إـلـىـ مـرـاجـعـةـ فـهـمـ الـفـكـرـ الـمـغـرـبـيـ لـمـفـهـومـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ نـفـسـهـ وـتـصـحـيـحـ كـثـيرـ مـنـ مـغـالـطـاتـهـ، وـهـذـاـ مـاـ تـجـسـدـهـ مـقـارـيـةـ مـحـمـدـ سـبـيلـاـ (1942ـ2021ـ) لـهـذـاـ الـمـوـضـوـعـ.

## ثـانـيـاـ: فـيـ اـسـتـضـافـةـ خـطـابـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ

لـاـ يـزـعـمـ الـمـتـحـمـسـونـ لـخـطـابـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ أـنـهـ بـصـدـدـ إـسـقـاطـ مـضـمـونـهـ عـلـىـ سـيـاقـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ مـنـ دـوـنـ أـيـ وـعـيـ بـفـرـادـتـهـ وـخـصـوـصـيـتـهـ؛ فـالـأـمـرـ عـنـدـهـمـ لـيـسـ مـسـأـلـةـ التـعـرـيفـ بـهـذـاـ الـمـضـمـونـ أوـ الـتـرـوـيـجـ لـهـ، وـإـنـمـاـ الـأـهـمـ مـنـ ذـلـكـ بـعـدـ الـمـنـهـجـيـ الـذـيـ يـمـثـلـ أـسـسـ الـعـقـلـانـيـةـ الـمـعـاـصـرـةـ. وـيـرـوـنـ أـنـ هـذـاـ الـخـطـابـ لـيـسـ مـجـرـدـ مـضـامـينـ فـلـسـفـيـةـ وـمـوـاقـفـ تـتـمـيـزـ إـلـىـ تـارـيـخـ الـفـلـسـفـةـ، وـإـنـمـاـ هـوـ وـلـيدـ "ـثـورـةـ مـنـهـجـيـةـ"ـ، تـمـكـنـ مـعـهـاـ مـنـ جـيـبـيـلـوـجـيـةـ نـيـتـشـهـ، إـلـىـ تـفـكـيـكـيـةـ دـرـيـداـ، مـرـورـاـ بـتـأـوـيـلـاتـ هـايـدـغـرـ وـغـادـامـيرـ وـأـرـكـيـوـلـوـجـيـةـ فـوـكـوــ. مـنـ بـنـاءـ مـنـظـورـ مـعـرـفـيـ مـرـكـبـ لـلـحـقـيقـةـ، يـتـبـرـمـ مـنـ الـثـابـتـ وـالـجـوـهـريـ وـيـبـحـثـ عـنـ الـمـنـسـيـ وـالـلـامـفـكـرـ فـيـهـ، وـيـهـدـمـ الـمـطـلـقـ وـيـزـجـ بـالـمـعـنـىـ فـيـ سـرـادـيـبـ الـنـسـبـيـةـ وـالـتـوـتـرـ وـالـقـطـيـعـةـ. لـذـلـكـ تـبـدـيـ هـذـاـ الـمـنـظـورـ فـيـ صـورـةـ نـمـوذـجـ مـرـكـبـ لـلـمـعـرـفـةـ، يـنـهـلـ مـنـ أـكـثـرـ مـنـ تـخـصـصـ مـعـرـفـيـ، وـيـمـحـوـ الـفـوـاـصـلـ الـقـائـمـةـ بـيـنـ مـجـالـاتـ الـمـعـنـىـ وـالـحـقـيقـةـ. فـلـاـ غـرـابـةـ أـنـ يـرـىـ فـيـهـ كـثـيرـ مـنـ الـمـفـكـرـيـنـ الـعـرـبـ مـنـبـعـاـ لـمـنـظـورـ مـنـهـجـيـ نـقـدـيـ قـادـرـ عـلـىـ تـفـكـيـكـ بـنـيـةـ الـعـقـلـ وـآـلـيـاتـ إـنـتـاجـ الـمـعـنـىـ فـيـ الـنـقـافـةـ الـعـرـبـيـةـ، كـمـاـ هـوـ الشـأـنـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ أـرـكـونـ الـذـيـ شـدـدـ عـلـىـ ضـرـورـةـ تـطـيـعـ الـإـسـلـامـيـاتـ بـمـكـتـسـبـاتـ الـنـقـدـ الـفـلـسـفـيـ الـمـعـاـصـرـ فـيـ سـيـاقـ مـاـ سـمـاـهـ "ـالـعـقـلـ الـمـبـنـيـقـ"ـ، الـذـيـ مـنـ شـأـنـ اـسـتـيـعـابـ درـسـهـ أـنـ يـحـولـ دـوـنـ سـقـوـطـنـاـ فـيـ الـمـعـاطـبـ عـيـنـهـاـ الـتـيـ عـابـهـاـ نـقـادـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ عـلـىـ الـعـقـلـانـيـةـ الـحـدـاثـيـةـ وـمـسـارـاتـهـاـ، مـنـ دـوـنـ أـنـ يـتـخلـلـ، عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ ذـلـكـ، عـنـ مـشـرـوعـيـةـ شـعـارـاتـ الـأـنـوـارـ وـحـاجـتـنـاـ إـلـىـ اـسـتـيـعـابـ قـيمـهـاـ<sup>(11)</sup>. وـيـنـبـغـيـ لـنـاـ أـنـ نـسـجـّلـ، مـنـ بـابـ الـإـنـصـافـ، أـنـ أـبـرـزـ الـجـهـودـ الـتـيـ

(10) تمـثـلـ أـعـمـالـ فـتـحـيـ الـمـسـكـنـيـ، فـيـ تـونـسـ، هـذـاـ التـوـجـهـ خـيـرـ تمـثـيلـ. يـنـظـرـ عـلـىـ سـيـيلـ الـمـثالـ: فـتـحـيـ الـمـسـكـنـيـ، الـكـوـجـيـتوـ الـمـجـرـوـحـ: أـسـئـلـةـ الـهـوـيـةـ فـيـ الـفـلـسـفـةـ الـمـعـاـصـرـ (بـيـرـوـتـ: دـارـ الـأـمـانـ؛ مـنـشـورـاتـ ضـفـافـ؛ الـجـزـائـرـ: مـنـشـورـاتـ اـخـلـافـ، 2013ـ)، صـ15ـ؛ فـتـحـيـ الـمـسـكـنـيـ، الـهـوـيـةـ وـالـزـمـانـ: تـأـوـيـلـاتـ فـيـنـوـمـيـنـوـلـوـجـيـةـ لـمـسـأـلـةـ "ـالـنـحـنـ"ـ (بـيـرـوـتـ: دـارـ الـطـبـيـعـةـ، 2001ـ)، صـ151ـ.

(11) Mohammed Arkoun, *Quand l'islam s'éveillera* (Paris: Albin Michel, 2018), p. 25.

بُذلت في توظيف خطاب ما بعد الحداثة أتت من الذين تجاوزوا حدود التعامل معه مضموناً إلى مستوى الإفادة من منظوره المنهجي في مواجهة إشكالات الفكر المغربي والعربي. وهذا ما يمكن أن نبيّنه من أعمال الخطبي وبنعبد العالى.

## 1. الخطبي والجذور التفكيكية للنقد المزدوج

عندما يتعلّق الأمر بالخطبي، فإنّ حضور البعد المنهجي لخطاب ما بعد الحداثة في الفكر الفلسفى المغربي يصير أوضح؛ فهو يُعمل تفكيكية دريدا في صياغة خطابه عن "المغرب الكبير" في مرحلة ما بعد الكولونيالية، وانطلاقاً من التفكير في الهوامش ومراجعة فهمنا لوضعية الفكر والمجتمع المغاربيين<sup>(12)</sup>. وقد شَكَّلَ الانفتاح على "المنسي" و"المهمس" و"المنبود" في الثقافة الإسلامية وتراثها الشعبي والعالم خير تعير عن حضور هذه الرؤية، التي هي سلسلة مسار نقد الميتافيزيقاً كما صاغه نيتشه وهайдغر، ومحاولة تخلص الفكر الغربي نفسه من نزعته الاستعمارية على حد قول دريدا<sup>(13)</sup>؛ بل تبقى الرؤية تلك أفضل مدخل - في نظر الخطبي - إلى تجاوز النزعات التقليدية، واللاهوتية [العقائدية] والعقلانية التقنية التي هيمنت على الفكر العربي.

لَكَنَّ الأَهْمَّ، في سياقنا هذا، أنَّ الخطبي يصدُّر عن وعي بالأزمة العميقة التي باتت تهْزِّ كيان العقلانية الغربية وتعيّن طبيعة الصلة التي ينبغي أن ننسجها بها. فـ"الإبستيمية الغربية الحالية" يقول الخطبي، تُوجَد في أزمة من الداخل بواسطة قوى التجاوز واللاتمركز. وهذه الإبستيمية المتصدّعة تمثّل لنا نحن، حسب أنماط وأشكال متغيّرة ترسّم في صراعاتنا ونزاعاتنا. فلا يمكن والحاله هذه، إلا أن ننضمّ توًما تحقّق كي نحاول تحويله وفق نقد مزدوج<sup>(14)</sup>. ولئن كان هذا القول يأتي في سياق دعوة صاحبه إلى تجديد المنظور المعرفي العربي الذي ظل، في نظره، ضحية تبعيته لنموذج المعرفة الغربية وعقلانيتها الإقصائية كما تجلّت في المقاربة الاستشرافية، فإنه يشي، في الآن ذاته، باقتناعه بإمكانية الإفادة من وضعية الأزمة المعرفية التي ألمت بالعقلانية الغربية ونماذجها المعرفي في بلورة نموذج أنسُب، وأقدر، على تفهّم سياق العالم العربي وقضاياها، وهو النموذج الذي أتى مفهوم النقد المزدوج يعبر عنه. صحيح أنَّ الخطبي ما انفكَ يشدّد على إمكانية - بل ضرورة - بناء "عالم من دون نماذج"، ومتحرّر من سطوطها، وأنَّ هدفه لم يكن تشييد "نموذج فكري" "وحيد" وـ"نهائي" يدّعى الانفراد بالحقيقة ويحل محلَّ النماذج العتيقة والمتهاكلة (الكماركسيّة والبنيوية) التي ما عاد من الممكِن الاكتفاء بها لفهم تحولات المجتمع العربي وأسئلته، وإنما رمى إلى تحرير الوعي العربي كما الغربي من سطوة فكرة النموذج نفسها، وترسيخ منظور "البين-بين" باعتباره رؤية تركيبية، من شأنها أن تجمع بين تخصصات ومناهج متعددة، وأن تسعننا بالوعي بانقلابات

(12) Abdelkébir Khatibi, *Maghreb pluriel* (Paris: Denoël; Rabat: SMER, 1983), p. 48.

(13) يقول عبد الكبير الخطبي: "لقد اعتقدت دائمًا أنَّ المسمى تفكيرًا إنما هو شكل راديكالي من إشكال تخلص الفكر الغربي من نزعته الاستعمارية"، ينظر: "34. من تفكيرًا إنما هو شكل راديكالي من إشكال تخلص الفكر الغربي من نزعته الاستعمارية"، *Derrida en effet* (Paris: Al Manar, 2008), p. 34.

(14) عبد السلام بنعبد العالى، الخطبي والفلسفة، ضمن أعمال ندوة: عبد الكبير الخطبي: أي إرث ترك لنا؟ (الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، 2019)، ص. 21.

المجتمع المغربي وتشكّلاته المتعددة والمتناقضـةـ والمـخـلـفةـ.ـ لذلكـ،ـ يـتـحـرـكـ الخـطـبـيـ،ـ مـثـلـمـاـ هوـ الشـأنـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ درـيـداـ،ـ بـيـنـ أـكـثـرـ مـنـ تـخـصـصـ مـعـرـفـيـ،ـ وـيـنـهـلـ مـنـ أـكـثـرـ مـنـ رـؤـيـةـ مـنـهـجـيـةـ:ـ مـنـ النـقـدـ السـوـسـيـوـلـوـجـيـ وـالـسـيـمـيـوـلـوـجـيـ وـالـأـدـبـ وـالـتـارـيـخـ ...ـ إـلـخـ،ـ لـتـتـخـذـ مـقـارـيـتـهـ شـكـلـ اـسـتـرـاتـيـجـيـةـ فـيـ الـفـهـمـ مـتـعـدـدـ الـمـوـاـقـعـ،ـ تـتـنـكـبـ الـدـوـاـئـرـ الـمـغـلـقـةـ لـلـمـعـنـىـ،ـ وـتـسـعـيـ لـتـفـجـيـرـ نـصـوـصـهـ مـنـ دـاـخـلـهـاـ.ـ وـيـوـحـيـ كـلـ ذـلـكـ بـقـوـةـ حـضـورـ مـنـظـورـ "ـمـاـ بـعـدـ حـدـاثـيـ"ـ عـلـىـ مـسـتـوـىـ تـصـوـرـهـ الـمـنـهـجـيـ،ـ يـتـبـرـمـ مـنـ أـحـادـيـةـ الـمـنـهـجـ،ـ بـمـعـنـاـهـ التـقـلـيـدـيـ،ـ وـيـنـفـحـ عـلـىـ الـمـعـرـفـةـ الـمـرـكـبـةـ الـتـيـ تـعـكـسـ الطـابـعـ التـرـكـيـبـيـ لـلـفـكـرـ وـالـمـجـتمـعـ الـمـعـاـصـرـيـنـ.ـ وـيـتـعـلـقـ الـأـمـرـ،ـ إـلـأـ،ـ بـ"ـبـرـدـاـيـمـ"ـ مـعـرـفـيـ مـرـكـبـ يـسـلـمـ بـنـسـبـيـةـ الـحـقـيـقـةـ وـالـمـعـنـىـ وـتـارـيـخـيـتـهـمـ،ـ وـيـمـحـوـ الـفـوـاـصـلـ وـالـحدـودـ الـعـتـيقـةـ الـتـيـ أـقـيمـتـ بـيـنـ مـجـالـاتـ الـمـعـرـفـةـ الـإـنـسـانـيـةـ،ـ وـيـرـسـيـ دـعـائـمـ فـهـمـ مـغـاـيـرـ لـلـإـنـسـانـ وـشـرـوـطـ وـجـوـدـهـ<sup>(15)</sup>ـ.

يـتـضـحـ،ـ إـلـأـ،ـ أـنـ الـخـطـبـيـ لـمـ يـكـنـ فـيـ زـمـرـةـ الـبـاحـثـينـ الـعـرـبـ الـذـيـنـ اـكـتـفـوـاـ بـالـتـعـرـيفـ بـخـطـابـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ فـيـ الـمـجـالـ الـفـكـرـيـ الـعـرـبـيـ،ـ وـلـاـ اـدـعـىـ إـمـكـانـيـةـ إـسـقـاطـ مـقـولـاتـهـ الـكـبـرـىـ عـلـىـ الـوـاقـعـ الـعـرـبـيـ.ـ وـظـلـ يـسـتـحـضـرـ أـسـئـلـةـ الـمـجـتمـعـ الـعـرـبـيـ فـيـ تـعـالـمـهـ مـعـ الـمـرـجـعـيـاتـ الـفـكـرـيـةـ الـمـعـاـصـرـةـ،ـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ اـتـخـاـذـهـ الـكـوـنـيـةـ أـفـقـاـ لـفـكـرـهـ.ـ وـبـذـلـكـ يـكـوـنـ فـكـرـهـ نـمـوذـجـاـ لـمـحاـوـلـةـ اـسـتـيـعـابـ الـنـفـسـ الـتـفـكـيـكـيـ لـفـكـرـ ماـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ،ـ وـالـمـضـيـ بـعـدـأـ فـيـ إـعـمـالـهـ فـيـ فـهـمـ أـسـئـلـةـ الـمـجـتمـعـ الـعـرـبـيـ وـتـفـكـيـكـهـ أـسـسـ فـكـرـهـ،ـ بـحـثـاـ عـمـاـ سـمـاـ "ـفـكـرـاـ مـغـاـيـرـاـ"ـ قـادـرـاـ عـلـىـ الـانـفـلـاتـ مـنـ سـطـوـةـ الـعـقـلـانـيـةـ الـكـلـاسـيـكـيـةـ وـهـيـمـتـهـاـ عـلـىـ الـثـقـافـةـ الـمـعـاـصـرـةـ.ـ فـيـقـوـلـ فـيـ هـذـاـ الـمـعـرـضـ:ـ "ـعـنـدـمـاـ نـحـاـوـرـ فـكـرـ الـاـخـتـلـافـ الـغـرـبـيـ (ـسـوـاءـ فـكـرـ نـيـتـشـهـ أـوـ هـاـيـدـغـرـ أـوـ بـلـانـشـوـ أـوـ جـاـكـ درـيـداـ)ـ فـإـنـاـ لـاـ نـأـخـذـ فـيـ اـعـتـارـاـنـاـ أـسـلـوبـ الـتـفـكـيرـ فـحـسـبـ،ـ وـإـنـمـاـ كـذـلـكـ الـاـسـتـرـاتـيـجـيـةـ الـمـتـبـعـةـ كـيـ نـجـعـلـهـمـاـ فـيـ خـدـمـةـ نـضـالـنـاـ"<sup>(16)</sup>ـ.ـ وـيـتـعـلـقـ الـأـمـرـ بـفـكـرـ يـسـعـىـ لـتـجـاـزـ مـضـمـونـ الـفـلـسـفـةـ الـمـعـاـصـرـةـ،ـ وـيـرـكـزـ بـالـأـحـرـىـ عـلـىـ مـنـظـورـهـ الـمـنـهـجـيـ وـالـاـسـتـرـاتـيـجـيـ،ـ مـاـ يـجـعـلـ مـنـ "ـفـكـرـ الـمـغـاـيـرـ"ـ مـهـمـةـ لـاـ تـنـهـيـ،ـ "ـفـالـفـكـرـ،ـ يـقـولـ الـخـطـبـيـ،ـ لـاـ يـعـرـفـ الـمـعـجزـاتـ،ـ وـفـيـ مـيـدانـ الـفـكـرـ لـيـسـ هـنـاكـ إـلـاـ قـطـائـعـ وـانـفـصـالـاتـ"<sup>(17)</sup>ـ.ـ وـعـنـدـمـاـ يـدـعـوـ هـذـاـ الـمـفـكـرـ إـلـىـ تـصـفـيـةـ الـحـسـابـ مـعـ أـسـسـ الـعـلـومـ الـاجـتـمـاعـيـةـ وـمـسـلـمـاتـ كـتـابـتـهـاـ،ـ فـإـنـهـ يـشـيرـ بـذـلـكـ إـلـىـ ضـرـورـةـ اـسـتـعـادـةـ الـصـلـةـ الـمـتـيـنـةـ بـيـنـهـاـ وـبـيـنـ الـفـلـسـفـةـ،ـ بـمـاـ يـعـنـيـهـ ذـلـكـ مـنـ اـعـتـارـاـفـ بـأـنـ الـمـمـارـسـةـ تـظـلـ عـمـيـاءـ مـنـ دـوـنـ رـؤـيـةـ فـلـسـفـيـةـ وـاضـحةـ،ـ وـرـفـضـ لـنـمـوذـجـ الـعـقـلـانـيـةـ الـضـيـقـةـ الـذـيـ اـسـتـلـمـتـهـ فـلـسـفـةـ الـعـلـمـ الـوـضـعـيـةـ.ـ فـقـدـ كـانـ دـأـبـ الـأـخـيـرـةـ إـفـرـاغـ الـمـفـهـومـ مـنـ مـضـمـونـهـ الـحـيـوـيـ وـاجـتـثـاـهـ مـنـ سـيـاقـهـ الـتـارـيـخـيـ وـالـاجـتـمـاعـيـ،ـ فـضـلـاـ عـنـ أـنـهـ تـجـاهـلـتـ مـشـكـلـةـ الـلـاـشـعـورـ<sup>(18)</sup>ـ تـحـتـ وـطـأـةـ جـاذـيـةـ مـفـهـومـ الـعـقـلـانـيـةـ الـعـلـمـيـةـ نـفـسـهـ،ـ مـتـنـاسـيـةـ أـنـ ثـمـةـ تـفـاعـلـاـ حـيـوـيـاـ بـيـنـ الـعـلـمـ وـالـتـارـيـخـ وـالـأـيـديـوـلـوـجـيـاـ.ـ وـيـدـعـوـ الـخـطـبـيـ إـلـىـ تـجـنـبـ إـغـرـاءـ النـمـاذـجـ فـيـ بـنـاءـ

(15) حول التلقـيـ الـعـرـبـيـ للـحدـاثـةـ الـغـرـبـيـةـ يـنـظـرـ:ـ مـحـمـدـ سـيـيـلاـ،ـ الـحدـاثـةـ وـمـاـ بـعـدـ الـحدـاثـةـ،ـ طـ 2ـ (ـالـدارـ الـبـيـضـاءـ:ـ دـارـ تـوـيقـالـ لـلـنـشـرـ)،ـ صـ 100ـ؛ـ مـحـمـدـ سـيـيـلاـ،ـ فـيـ الشـرـطـ الـفـلـسـفـيـ الـمـعـاـصـرـ (ـالـبـيـضـاءـ:ـ أـفـرـيـقـاـ الـشـرـقـ،ـ 2008ـ)،ـ صـ 69ـ؛ـ فـتحـيـ الـتـرـكـيـ وـعـبـدـ الـوـهـابـ الـمـسـيـرـيـ،ـ الـحدـاثـةـ وـمـاـ بـعـدـ الـحدـاثـةـ (ـبـيـرـوـتـ:ـ دـارـ الـفـكـرـ الـمـعاـصـرـ،ـ 2020ـ).

(16) بـعـدـ الـعـالـيـ،ـ صـ 18ـ.

(17) المـرـجـعـ نـفـسـهـ.

(18) عبدـ الـكـرـيمـ الـخـطـبـيـ،ـ النـقـدـ الـمـزـدـوجـ (ـالـرـيـاطـ:ـ مـنـشـورـاتـ عـكـاظـ،ـ 2000ـ)،ـ صـ 10ـ.

رؤيتنا المعرفية؛ إذ الأهم عنده ليس أن يكون المرء ماركسيًا أو سارترىًا أو هайдغريًا، وإنما التفكير بكيفية مغايرة في أسئلة الهوية والتاريخ والتراص، على نحو يلاحظ طابعها المركب والحيوي الذي ينضج بالتناقضات والتقابلات، وهو ما يجعله في تنطع دائم من قبضة العقلانية الكلاسيكية ومنظورها الأحادي. ويحضر هذا المنظور المتواتر، على سبيل المثال، في تصوّره لـ"المغرب"، حيث نقرأ له في هذا المعرض قوله: "حقًا، يكون الملاحظ غريًا وشرقيًا في مسألة المغرب. لماذا؟ لأنّ وجود المغرب قائم بين الغرب والشرق، بين المغرب والشرق، بين التاريخ وما قبل التاريخ، بين الميتافيزيقا وما ينافقها، بين العرب والبربر، بين الدين والسحر، بين القبيلة والإقطاعية من جهة، والرأسمالية من جهة أخرى، بين-بين [...]"<sup>(19)</sup>. وإذا كان فكر "البين-بين" يستدعي تجاوز الفهم التقليدي - الميتافيزيقي للهوية والاختلاف، فإنه يستدعي، كذلك، نقدًا مزدوجًا قادرًا على تغيير الواقع وخلق التوترات أكثر من سعيه لاتخاذ موقف ثابتة. ويتقدّم، في هذا النقد، صدى رؤية هайдغر للهوية وتصور دريدا لاستراتيجية التفكير والت موقع داخل النصّ وخلخلة تمركزاته. غير أنّ الخطبي يزج بالنقد ذاك في عوالم الإنسان المغربي وتاريخه وثقافته، " فهو [الإنسان المغربي] يحمل في أعماقه كلّ ماضيه قبل الإسلامي والإسلامي والبربري والعربي والغربي. أهم شيء إذن [والقول للخطبي] هو ألا نغفل هذه الهوية المتعددة التي تكون هذا الكائن. ومن جهة أخرى يجب أن ننكر في الوحدة الممكّنة بين هذه العناصر جميعًا. إلا أنها وحدة غير لاهوتية ترك لكلّ عنصر نصبيه من التميّز، وتتيح بالنسبة للمجموعة حرية الحركة"<sup>(20)</sup>.

ليس النقد المزدوج، وفق هذا التصور، مجرد استقدام لنموذج معين من النقد صيغ في تاريخ الفلسفة، ولا هو مجرد إسقاط لمقولات النقد المعاصر على الواقع العربي وتراثه، بقدر ما هو تحرك بين الميتافيزيقا الغربية والميتافيزيقا الإسلامية. وهكذا، نظر الخطبي إلى علاقته بالفكر الغربي، ويدوّن أنّ كثيرًا من ساروا على دربه من المدافعين عن إمكانية الإفادة من المنظور التفكيري، الذي يرون فيه جواهر الفكر المعاصر<sup>(21)</sup>، ظلّوا مقتنيين بموضوعية الانتهاء من هذا الفكر، خاصة على المستوى المنهجي. وإذا نظرنا إلى المسألة من هذا المنظور أدركنا أنّ الأهم ليس درجة الشغف الذي خلفه فيلسوف كهайдغر عند الباحثين العرب منذ بدوي، وإنما الكيفية التي أثرت بها استراتيجيته في مسألة تاريخ الفلسفة وتأويل نصوصها الكبرى وتفكيك أزمة الإنسان الحديث في فكر الفلسفة العرب<sup>(22)</sup>. أمّا التساؤل إذا ما كانت إشكالية هайдغر، على سبيل المثال، تعني "فعلاً" الحقل الفلسفية العربي هو

(19) عبد الكبير الخطبي، "المغرب كقضية فلسفية"، *أقلام*، العدد 3 (نisan/أبريل 1978)، ص 5؛ ذكره: بعبد العالي، الخطبي والفلسفة، ص 19.

(20) بعبد العالي، الخطبي والفلسفة، ص 20؛ Khatibi, p. 13.

(21) بتلر، ص 16.

(22) بذلك تتجنب حكم مشير عون عن طبيعة حضور هайдغر في الفكر العربي، لأنّ ما يعنيه ليس حجم شغف الفلسفة العرب بفكرة، وإنما مفعول رؤيته الفلسفية في تحديد ملامح مقاربتهم لبعض أسئلتهم. هذا ما سناحول إثباته من خلال الوقوف، ولو باختصار، على الكيفية التي أعمل بها بعبد العالي والمكسيكي هайдغر في مقاربة سؤال الهوية والتراص. ينظر في هذا المعرض: مشير باسيل عون، هайдغر والفكر العربي، ترجمة إيليا أبيس نجم (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015)، ص 15.

الآخر، فإن هذا الأمر يظل غير ذي قيمة من هذا المنظور، طالما أن أصحابه يبنونه على مسلمة كونية تلك الإشكالية المتأصلة في وحدة الوضع الفلسفـي المـيـتـافـيـزـيـقـيـ الذي فـرـضـهـ نـقـدـ الحـدـاثـةـ فيـ السـيـاقـ الفلـسـفـيـ المـعـاـصـرـ.

## 2. بنعبد العالي والنقد المعاصر للميتافيزيقا

يمثل خطاب بنعبد العالي نموذجاً لفـكـرـ فـلـسـفـيـ حـاـوـلـ استـضـافـةـ أـسـئـلـةـ الفـكـرـ المـعـاـصـرـ وـذـهـبـ بـعـدـهاـ فيـ التـفـكـيرـ فـيـهاـ منـ مـوـقـعـ الـوعـيـ بـكـوـنـيـتـهاـ وـضـرـورـةـ الـانـخـراـطـ فـيـهاـ،ـ بلـ يـمـكـنـ القـوـلـ إـنـهـ كـانـ مـنـ الـذـيـنـ وـطـنـواـ إـشـكـالـيـةـ نـقـدـ المـيـتـافـيـزـيـقـاـ،ـ كـمـاـ صـاغـهـاـ الفـكـرـ فـلـسـفـيـ المـعـاـصـرـ،ـ فـيـ جـغـرـافـيـاـ الفـكـرـ فـلـسـفـيـ الـعـرـبـيـ.ـ وـيـشـوـيـ خـلـفـ اـنـشـغـالـ بـنـعـبـدـ الـعـالـيـ بـنـقـدـ المـيـتـافـيـزـيـقـاـ وـعـيـهـ بـأـنـ الـأـخـرـ لـيـسـ مـعـجـرـ فـكـرـ مـفـارـقـ لـوـاقـعـهـ،ـ وـلـاـ هـيـ عـبـارـةـ فـارـغـةـ مـنـ الـمـعـنـىـ كـمـاـ قـالـ عـنـهـ خـصـبـوـمـهـاـ،ـ بـقـدـرـ مـاـ هـيـ رـوـيـةـ إـلـىـ الـذـاتـ،ـ وـالـأـخـرـ،ـ وـالـهـوـيـةـ،ـ وـالـاـخـتـلـافـ،ـ وـالـزـمـنـ،ـ وـالـتـارـيـخـ.ـ لـذـلـكـ لـمـ تـكـنـ اـنـعـاطـافـهـ<sup>(23)</sup>ـ عـلـىـ دـرـاسـةـ أـسـسـ الـفـكـرـ فـلـسـفـيـ الـعـرـبـيـ.ـ وـالـحـدـيـثـ مـعـجـرـ اـخـتـيـارـ أـكـادـيـمـيـ مـحـضـ،ـ بـقـدـرـ مـاـ أـمـلـاـهـاـ عـلـيـهـ وـعـيـهـ بـأـهـمـيـةـ إـشـكـالـيـةـ نـقـدـ المـيـتـافـيـزـيـقـاـ فـيـ هـذـاـ الـفـكـرـ،ـ وـمـاـ يـعـنـيـهـ ذـلـكـ مـنـ إـمـكـانـيـاتـ إـلـاـفـادـةـ مـنـ دـرـسـهـ فـيـ صـيـاغـةـ فـهـمـ مـعـقـولـ لـأـسـئـلـةـ شـرـطـنـاـ الـمـعـاـصـرـ.ـ وـيـرـمـيـ بـنـعـبـدـ الـعـالـيـ،ـ فـيـ أـسـسـ الـفـكـرـ فـلـسـفـيـ المـعـاـصـرـ،ـ إـلـىـ تـعـقـبـ مـسـارـاتـ هـذـاـ الـفـكـرـ اـنـطـلـاقـاـ مـنـ إـشـكـالـيـةـ "ـمـجاـواـزـةـ الـمـيـتـافـيـزـيـقـاـ"ـ وـتـفـكـيـكـهـاـ؛ـ حـيـثـ تـتـخـذـ عـنـدـ الـمـجاـواـزـةـ صـورـةـ مـشـرـوعـ نـقـديـ يـرـمـيـ إـلـىـ مـسـاءـلـهـ أـسـسـ الـحـدـاثـةـ وـمـشـرـوعـيـةـ مـبـادـئـهـ الـكـبـرـيـ،ـ وـهـوـ مـشـرـوعـ أـسـهـمـ فـيـ فـلـاسـفـةـ كـبـارـ مـنـ أـمـثـالـ كـارـلـ مـارـكـسـ Karl Marx (1818-1883)،ـ وـنـيـتـشـهـ،ـ وـهـاـيـدـغـرـ،ـ وـفـوـكـوـ،ـ وـدـرـيدـاـ.ـ لـذـلـكـ،ـ اـتـخـذـ نـقـدـ الـحـدـاثـةـ شـكـلـ بـحـثـ مـضـنـ عنـ "ـخـلـاـصـ"ـ يـتـحـقـقـ فـيـ اـنـتـاعـ الـإـنـسـانـ مـنـ رـبـقـةـ الـعـقـلـانـيـةـ الـحـدـاثـيـةـ وـرـؤـيـتـهـ الـمـيـتـافـيـزـيـقـيـةـ إـلـىـ الـإـنـسـانـ وـالـعـالـمـ.

تبـدوـ كـتـابـاتـ هـؤـلـاءـ الـفـلـاسـفـةـ،ـ حـسـبـ بـنـعـبـدـ الـعـالـيـ،ـ "ـمـحـاـولـاتـ لـإـقـامـةـ مـجاـواـزـةـ فـعـلـيـةـ لـلـمـيـتـافـيـزـيـقـاـ لـاـ تـقـتـصـرـ عـلـىـ اـتـهـامـهـاـ مـنـ "ـالـخـارـجـ"ـ إـنـماـ تـسـعـيـ إـلـىـ الـوـقـوفـ عـنـدـ أـصـوـلـهـاـ لـخـلـخـلـةـ أـزـوـاجـهـاـ وـتـقـوـيـضـ مـنـطـقـهـاـ<sup>(24)</sup>ـ.ـ وـالـمـيـتـافـيـزـيـقـاـ الـمـقـصـودـةـ،ـ فـيـ هـذـاـ الصـدـدـ،ـ هـيـ مـيـتـافـيـزـيـقـاـ الـحـضـورـ،ـ الـتـيـ شـخـصـهـاـ نـيـتـشـهـ فـيـ مـقـارـبـهـ الـجـبـنـيـالـوـجـيـةـ اـنـطـلـاقـاـ مـنـ بـنـيـتـهـاـ الـأـفـلـاطـوـنـيـةـ الـقـائـمـةـ عـلـىـ قـلـبـ الـعـالـمـ،ـ وـالـتـيـ عـمـلـ هـاـيـدـغـرـ عـلـىـ تـقـوـيـضـهـاـ فـيـ سـيـاقـ حـدـيـثـهـ عـنـ مـجاـواـزـةـ الـمـيـتـافـيـزـيـقـاـ.ـ وـيـعـتـقـدـ بـنـعـبـدـ الـعـالـيـ،ـ مـسـاـيـرـاـ فـيـ ذـلـكـ هـاـيـدـغـرـ،ـ أـنــ مـاـ يـخـتـصـ بـهـ الـوـجـودـ فـيـ الـحـقـبـةـ الـحـدـاثـيـةـ هـوـ خـضـوعـهـ لـلـتـقـنـيـةـ وـهـيـمـنـةـ الـأـخـرـيـةـ عـلـىـ تـصـوـرـنـاـ لـلـعـالـمـ.ـ وـيـكـمـنـ جـوـهـرـ التـقـنـيـةـ فـيـ الـإـنـتـاجـيـةـ؛ـ فـهـيـ شـكـلـ مـنـ أـشـكـالـ الـمـمـارـسـةـ قـوـامـهـ تـرـيـضـ [La mathématisation]ـ الـعـالـمـ وـإـخـضـاعـ الـطـبـيـعـةـ لـمـنـطـقـ الـحـسـابـ وـسـطـوـةـ التـمـثـيلـ.ـ وـتـصـدـرـ هـذـهـ الـمـمـارـسـةـ عـنـ إـرـادـةـ مـعـرـفـةـ تـدـفـعـ الـإـنـسـانـ إـلـىـ اـسـتـعـقـالـ الـوـجـودـ وـتـحـوـيـلـهـ إـلـىـ رـصـيدـ وـخـرـّـانـ.ـ لـذـلـكـ شـدـدـ هـاـيـدـغـرـ عـلـىـ أـنــ التـقـنـيـةـ شـكـلـتـ انـقـلـابـاـ أـنـطـلـوـجـيـاـ اـقـرـنـ بـمـيـتـافـيـزـيـقـاـ التـمـثـيلـ وـالـذـاتـيـةـ،ـ وـغـيـرـ تـصـوـرـ

(23) اـشـتـغـلـ بـنـعـبـدـ الـعـالـيـ،ـ بـدـاـيـةـ،ـ عـلـىـ الـفـلـاسـفـةـ السـيـاسـيـةـ عـنـدـ الـفـارـابـيـ،ـ قـبـلـ أـنـ يـنـصـرـفـ إـلـىـ الـاـهـتـمـامـ بـإـشـكـالـيـةـ الـفـكـرـ فـلـسـفـيـ الـعـرـبـيـ.ـ يـنـظـرـ:ـ عـبـدـ السـلـامـ بـنـعـبـدـ الـعـالـيـ،ـ الـفـلـاسـفـةـ السـيـاسـيـةـ عـنـدـ الـفـارـابـيـ (ـبـيـرـوـتـ،ـ 1999ـ).

(24) عـبـدـ السـلـامـ بـنـعـبـدـ الـعـالـيـ،ـ أـسـسـ الـفـكـرـ فـلـسـفـيـ الـمـعـاـصـرـ (ـالـدـارـ الـبـيـضاـءـ:ـ مـشـورـاتـ تـوـقـالـ،ـ 1998ـ)،ـ صـ19ـ.

الإنسان للوجود، والحقيقة، والإنسان والزمان، الأمر الذي جعل من التقنية قدرًا أسطوروجيا بالنسبة إلى الإنسان الحديث<sup>(25)</sup>. ييد أنّ الأهم، بالنسبة إلى بنعبد العالى، هو اقتران التقنية بنفي الاختلاف وفرض منطق التشابه والوحدة على الوجود والوعي معاً؛ حيث يحشر الإنسان نفسه في هذه الوحدة والانسجام، "ويتمتد الموجود في غياب الاختلاف، ذلك الغياب الذي لا يضمن ويبطئ إلا عن طريق الفعالية والتنظيم الذي يستجيب لمبدأ الإنتاجية. ورغم أنّ هذا المبدأ يظهر أنه يؤدي إلى نظام تراتبي، إلا أنه يقوم، أساساً، على غياب التراتب، حيث إنّ مرئى الإنتاج ليس إلا الفراغ الموحد"<sup>(26)</sup>. بذلك، تكون التقنية والمتافيزيقا محوّلاً للاختلاف وسيادةً لمنطق الوحدة والمطابقة والتشابه. إنها "ما تبقى لنا من الهيكلية" (على حد قول فوكو)، وترجمة للمكيدة التي نصبتها لنا الأخيرة، والتي لم تكن، في نظر بنعبد العالى، غير مكيدة الوجود نفسه<sup>(27)</sup>. وهكذا، تتحدد مهمّة الفكر، بعد هيغيل، في مسألة هذه الرؤية الضيقية إلى الوجود والعالم، والسعى لزحزحة بنيانها بحثاً عن آثار الاختلاف المكبوتة في تشكّلاتها التاريخية.

يختزل مفهوم مجاوزة الميتافيزيقا هذه المهمّة التي تحضر<sup>(28)</sup>، على الرغم من ارتباطها المبدئي بفلسفة هайдغر، في خطاب بنعبد العالى باعتباره عنواناً لمشروع فكري ينادي بـ"الخروج العقل والمجتمع الغربي من أزمته". وتجاور، في أسس الفكر الفلسفى المعاصر، جينيالوجية نيتشه مع مجاوزة هайдغر، وأركيولوجية فوكو مع تفكىكية دريدا، كما انعكست روح هذه المقاربـات في قراءته لكل تلك الفلسفـات نفسها؛ "ذلك أنّ تلك المـجاوزة تعنى، في نهاية الأمر، إقامة عالم مرايا ونظائر، وعالم يسكن فيه الآخر الذات، والمـشتـق الأـصل، والعمـق السـطـح، والباطـن الظـاهـر، والـاختلافـ الهـوـيـة. إنه عـالـمـ تـتـخلـلـ فـيـ الأـزـوـاجـ المـيـتـافـيـزـيـقـيـةـ"<sup>(29)</sup>. وبناء عليه، سعى بنعبد العالى لـ"إقامة ما سـمـّـاهـ "ـتـارـيـخـاـ مـضـادـاـ منـ أـجـلـ "ـالـوقـفـ عـنـ الـمـحاـواـلـاتـ الـتـيـ سـعـىـ فـيـهـ التـارـيـخـ إـلـىـ مـحاـكـمـةـ الـفـلـسـفـةـ لـإـرـسـاءـ أـسـسـ تـارـيـخـ يـقـلـبـ تـارـيـخـ الـمـيـتـافـيـزـيـقـاـ، بلـ وـيـقـلـبـ التـارـيـخـ الـمـيـتـافـيـزـيـقـيـ ذـاـتـهـ"<sup>(30)</sup>. إنـاـ أـمـامـ كـاتـابـةـ جـينـيـالـوجـيـةـ عنـ ثـانـيـةـ، يـمـارـسـ الـفـعـلـ نـفـسـهـ الـذـيـ يـفـكـرـ فـيـهـ، كـمـاـ يـسـهـمـ، مـعـ الـذـينـ يـتـّـحـذـ مـنـهـمـ مـوـضـوـعـاـ لـاـشـتـغـالـهـ، فـيـ مـجاـوزـةـ عـيـنـهـاـ الـتـيـ يـعـتـبـرـهـاـ هـؤـلـاءـ مـحـورـ فـلـسـفـتـهـمـ.

يصدر بنعبد العالى عن مسلّمة وضعها فوكو مفادها أن عصرنا هذا محاولة للإفلات من قبضة هيغيل. فكل تفكير في أسس الفكر الفلسفى المعاصر ينبغي أن يرجع إلى تصوّر هذا الفيلسوف للفلسفة

(25) Martin Heidegger, *Essais et conférences* (Paris: Gallimard, 1958), p. 37.

(26) بنعبد العالى، أسس الفكر الفلسفى المعاصر، ص. 8.

(27) نقرأ بنعبد العالى قوله "هذه المكيدة الهيكلية ربما لم تكن إلا مكيدة التاريخ الميتافيزيقي بأكمله، بل مكيدة الوجود الذي يفرض علينا أن نعيش على الحقائق، وأن نتكلّم اللغة، ونستخدم المفاهيم ونخلق الوحدات ونركن إلى التراتب، ونستشعر نوعاً من الدوام والاستمرار، ونطمئن إلى التشابه والانسجام، ونركن إلى التطابق والوحدة"، في: المرجع نفسه، ص. 156.

(28) Habermas, p. 42.

(29) بنعبد العالى، أسس الفكر الفلسفى المعاصر، ص. 20.

(30) المرجع نفسه.

و مهمتها الممكنة؛ فهو أرسى دعائم تصوّر ميتافيزيقي للوجود والزمان في ظل اقتناعه بأن الفلسفة أدركت لحظة اكتمالها في نسقها بعد أن صارت فيه معرفة مطلقة<sup>(31)</sup>.

(31) بذلك يكون اكمال الفلسفة متعلق التفكير في مجاوزتها، وما حدث ماركس عن قلب الفلسفة وتشديده على أنّ اكتمالها لا يتحقق على نحو نظري، لأنّه لا يجد ذاته إلا في العمل، سوى محاولة للدفع بالاكتمال الهيغلي للفلسفة صوب تحليلاته الاجتماعية والسياسية كما هو واضح من تصور ماركس للبراكسيس. غير أنّ الحل الماركسي لمجاوزة الفلسفة من خلال الزّرّ بها في خانة الأدبيولوجيا يبدو عقيماً، طالما أنه سليل الرؤية الفلسفية /الميتافيزيقية عينها التي حاول تجاوزها، ويسجل بنعدي العالى أنّ "النّفرة ذاتها بين النظر والممارسة تفرقة تمت داخل الفكر الفلسفى. لذا فإنّ مجاوزة الفلسفة لا يمكن أن تتمّ كتبوية تلقائيّة لتحويل الوضع الذي ساعد على نشأتها". لذلك حاول نيشه التبرّ من منطق تاريخ الفكر الفلسفى نفسه، منهاً إلى أنّ هدم الميتافيزيقا يتطلب إدراكاً أنها تراثٌ معينٌ للقيم، يستلزم الرجوع إلى الوراء في "محاولة لاسترجاع الاختفاء الذي كان وراء كلِّ اكتشافٍ، والغياب الذي كان خلف كلِّ حضور". فقد أدرك نيشه أنّ حفظه في تاريخ الحقيقة يقود، حتماً، إلى هدم بنائها، بما يعني ذلك من وعي بوجود حاجة ملحة إلى نسف أساس الميتافيزيقا، التي هي عينها أساس الفكر الغربي برمته، ليعبد بذلك الطريق أمام مشروع مجاوزتها كما صاغه هайдغر في سياق تقويض الميتافيزيقا. مثل موضوع "نهاية الميتافيزيقا" الوجه الآخر لتصور هذا الفيلسوف لما سماه بداية الفكر [التفكير]، وهو كتبية على فكر جديد قادر على تجاوز منطق المطابقة الحاكم للميتافيزيقا، بما يعني ذلك من استذكار للمعنى الأصيل للوجود من حيث هو اختلاف طمرته الميتافيزيقا. تيرز أهمية هайдغر في تاريخ نقد الميتافيزيقا في هذه النقطة تحديداً؛ فقد كشف عن تحدّر هذه الأخيرة في رؤية إلى العالم تقوم على فكرة المطابقة والحقيقة المطلقة والواحدة، تمسّك بالتقنية من حيث هي إنتاجية قادرة على توحيد العالم وتحويله إلى موضوع وفق منطق الاستهلاك والتشابه. فلا مكان لالختلاف في هذا التصور، وإذا كان ثمة مدخل لتقويض الميتافيزيقا فإنه يمكن في تفكيرك هذا البنيان المترافق من فكر المطابقة والهوية، وخلخلة رؤيته إلى الزمان والوجود. وعلى هذا النحو من النظر، اعتبر فوكو في حفرياته الميتافيزيقا فكراً يفصل بين النظر والعمل ويدعى امتلاك الحقيقة، وبحال الوقوف على القواعد التي تحكم في لعنة الحقيقة، كما حاول دريدا تفكيرك ميتافيزيقا الحضور من مدخل تفكير النص الميتافيزيقي، وهو بذلك لا يختلف عن هайдغر في اقتناعه بأنّ مفهوم الزمان كحاضر مطلق يبقى أساساً من أساس الميتافيزيقا. سيُخضع دريدا نصوص نيشه وهайдغر وفوكو نفسها للتفكير، وسرعان ما سيقتنع بأنّ الميتافيزيقا كانت في جوهرها فكراً يعمل على محى البنية والاختلاف، لذلك سيناحت مفهوم La Différence الذي سيُتّخذ، في منتهِه، شكل عملية توليد مستمرة لالاختلافات والفارق داخل نسيج النص الميتافيزيقي نفسه. نفهم، في ظلّ هذا المعنى، لماذا شغل دريدا حيزاً كبيراً في كتابات بنعدي العالى المسكونة بسؤال الكتابة؛ فإلى إصراره على مواجهة الميتافيزيقا على مسرح النص والكتابية، فإن دريدا جعل من محى الحدود بين مجالات إنتاج المعنى أحد أهم مقومات استراتيجيته، باعتبار الكتابة ساقية لكل أنماط القول وصنوف التعبير، بل يمكننا التمّوّع داخل النص من خلخلة تمرّزات الميتافيزيقا وتوليد الغياب والمباهنة داخل سيرورة إنتاج المعنى وحضوره.

(32) بنعبد العالى، أسس الفكر الفلسفى المعاصر، ص 156.

قبضة هيغل والرؤية العقلانية الضيقة إلى العالم. ويمكن أن نفهم هذا الموقف إذا أخذنا في الاعتبار أنّ المجاوزة لم تكن تعني إيدال فكر ميتافيزيقي بفكر منافق له، فهي ليست تفنيداً للميتافيزيقا ولا إلغاءً لها. فالمجاوزة هي نتيجة اتصال متواصل بالميافيزيقا واستيعاب لتراثها يخلق المسافات ويعري الاختلافات والتناقضات الثاوية في تاريخيتها المنسية. وهي لا تتحقق إلا داخل الميتافيزيقا نفسها، وفي خلخلةٍ وفككٍ لمنطق المطابقة والوحدة والتشابه. ويفكك ببعد العالي أنّ "المجاوزة لا تتمّ، ولا يمكن أن تتمّ بمعزل عن التاريخ الميتافيزيقي، وأنّ توليد الاختلاف وخلق الفوارق لا يتمّ بعيداً عن التطابق والهوية. فلا معنى لاستراتيجية الهمد إلا مقابل استراتيجية البناء، ولا موت بدون حياة، ولا تعدد بدون وحدة، ولا اختلاف من غير تطابق". ويعني هذا القول أنّ "الفصل لا بد وأن يفترض التقرّب والمصالحة، وكلاهما يدخل في باب تحديد الاختلاف"، كما يعني ذلك أنّ "المجاوزة لا بد وأن تفترض الميتافيزيقا، وكل حقيقة لا بد وأن تفترض اللاحقيقة، وكل انكشاف لا بد وأن يفترض الاختفاء" <sup>(33)</sup>.

في هذا الجوّ من التناقض والتجاذب بين المعنى واللامعنى، والحضور والغياب، والذهاب والمجيء في سراديب النص والتيه في ثنايا كتابته، تتجزّ الفلسفة المعاصرة مهمّة نقد الميتافيزيقا. وتتجدّ هذه المهمّة لنفسها موطئ قدم في مختلف مجالات الفكر الفلسفي المعاصر، وتضرّب بجذورها في التحليل النفسي، والنقد الثقافي، والنقد التاريخي، والفكر الاجتماعي، والفكر السياسي <sup>(34)</sup> ... إلخ. وهنا، يُخرج ببعد العالي الميتافيزيقا من معناها الفلسفية الحصري، ويُخرج معها النص الميتافيزيقي من دوائره الفلسفية التي ما انفك يتمركز عليها طوال تاريخه، لتصير، من منظوره، فكراً يتجسد في مختلف مكونات الثقافة والوعي <sup>(35)</sup>. وينبغي لنا أن ننتبه إلى أنّ هذه النقطة هي التي تفسّر إقبال كثير من المفكّرين العرب على خطاب النقد الفلسفي للعقل الحداثي، حيث بين عمله ذلك أنّ الميتافيزيقا ليست مجرد مفهوم أو عبارة فارغة من المعنى، وإنما هي ضرب من ضروب الوعي ونحو من أنحاء الوجود، تحمل في طياتها وعيّاً معيناً بالتاريخ والذات، وتحدد علاقة الإنسان بالعالم وبالآخرين. لذلك سرعان ما غدت الميتافيزيقا محدداً من محددات الثقافة لأنّها حاضرة في كلّ مكان؛ في تصوّرنا للمجتمع والعيش المشترك، كما في السياسة واقتصاديات السلطة، والتاريخ وتدبرنا للحقيقة.

كان الاستناد إلى النقد المعاصر للميتافيزيقا، إدّاً، خطوة في طريق تفكّيك التصور المغلق للهوية، بما يعنيه ذلك من ترسّيخ الوعي بتأريخية الحداثة ومفاهيمها عن الإنسان والزمان والحقيقة، وبخصوصية زمنية ما بعد الحداثة ورؤيتها إلى الإنسان. ويصدر هذا الموقف عن مسلّمة "كونية

(33) المرجع نفسه.

(34) Luc Ferry, *Apprendre à vivre: Traité de philosophie à l'usage des jeunes générations* (Paris: Flammarion, 2009), p. 243.

(35) يقول في هذا المعرض؛ "تُمتنع الميتافيزيقا إذن بنوع من الصلابة والترسّيخ؛ إنها منقوشة على الأحجار، موشومة على الأجساد التي تحفظ آثار التاريخ، ما دامت هي مولد الرغبات. ففيها تتعقد عراها ثم تخثّي بعثةً، بل فيها تتحلّ لتدخل في صراع تلاشى بعده في أثر بعضها، ويوالى خصامها على هذا النحو بلا كمال. ولأنّ الأمر كذلك فهناك صراع بين الإرادات وتدرج القيم واختلاف للمعاني ونظام للحقيقة"، ينظر: ببعد العالي، *أسس الفكر الفلسفي المعاصر*، ص 158.

وضعية ما بعد الحداثة". والظاهر من مقاربة بنعبد العالـيـ أنه أـرجـعـ الكـوـنـيـةـ تـلـكـ إـلـىـ التـقـنـيـةـ وـمـعـولـهـ فيـ توـحـيدـ العـالـمـ وـفـرـضـ وـضـعـ مـيـتـافـيـزـيـقـيـ عـلـىـ الـإـنـسـانـ الـمـعـاـصـرـ. وـهـوـ بـذـلـكـ يـشـارـكـ دـعـةـ النـقـدـ الـمـعـاـصـرـ لـلـحـدـاثـةـ مـنـتـلـقـاتـهـ وـمـبـادـئـهـ الـنـقـدـيـةـ. وـقـدـ اـنـفـرـدـ بـنـعـبـدـ الـعـالـيـ عـنـ أـخـرـابـهـ هـؤـلـاءـ بـالـتـرـكـيـزـ عـلـىـ الـحـيـزـ الـمـيـتـافـيـزـيـقـيـ لـخـطـابـ ماـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ، مـعـتـبـرـاـ أـنـ يـمـثـلـ "ـأـسـسـ الـفـلـسـفـيـ الـمـعـاـصـرـ". وـحـاـولـ أـيـضـاـ مـدـ الـفـلـسـفـيـ الـعـرـبـيـ بـرـؤـيـةـ اـنـفـصـالـيـةـ إـلـىـ تـارـيـخـ الـأـفـكـارـ مـنـ شـأـنـهـ أـنـ تـُـخـرـجـهـ مـنـ تـصـورـهـ الـتـقـلـيـدـيـ لـلـمـنـهـجـ وـمـنـظـورـهـ التـرـاـكـمـيـ، لـضـخـ نـفـسـ الـفـلـسـفـيـ الـمـعـاـصـرـ فـيـ تـصـورـنـاـ لـلـمـنـهـجـ الـذـيـ لـمـ نـفـلـحـ بـعـدـ فـيـ الـحـسـمـ فـيـ سـؤـالـهـ. غـيـرـ أـنـ الـجـهـوـدـ التـفـكـيـكـيـةـ لـبـنـعـبـدـ الـعـالـيـ، كـمـاـ لـلـخـطـيـبـيـ مـنـ قـبـلـ، اـخـتـارـتـ لـنـفـسـهـاـ التـحـرـكـ فـيـ عـالـمـ النـصـ وـالـكـتـابـةـ، وـلـمـ تـجـدـ طـرـيقـهـاـ إـلـىـ الـنـقـدـ الـقـلـافـيـ الـذـيـ مـنـ شـأـنـهـ أـنـ يـضـخـ نـفـسـهـاـ التـفـكـيـكـيـ فـيـ شـرـائـينـ الـقـلـافـيـةـ الـمـغـرـبـيـةـ وـالـعـرـبـيـةـ، هـذـاـ إـضـافـةـ إـلـىـ أـنـ مـسـلـمـةـ كـوـنـيـةـ "ـوـضـعـيـةـ نـهـاـيـةـ الـمـيـتـافـيـزـيـقـاـ"ـ ظـلـتـ تـحـيلـ، فـيـ هـذـاـ الـخـطـابـ، إـلـىـ الـمـيـتـافـيـزـيـقـاـ إـسـلـامـيـةـ"ـ لـهـنـاـ نـظـامـهـاـ الـمـعـرـفـيـ وـالـتـارـيـخـيـ الـخـاصـ الـذـيـ يـسـتـلـزـمـ مـنـظـورـاـ فـرـيـدـاـ لـفـهـمـهـ وـتـفـكـيـكـهـ. صـحـيـحـ أـنـ "ـالـنـقـدـ الـمـزـدـوـجـ"ـ -ـ كـمـاـ صـاغـهـ الـخـطـيـبـيـ -ـ ظـلـ بـرـميـ إـلـىـ تـفـكـيـكـ الـمـيـتـافـيـزـيـقـاـ الـغـرـبـيـةـ وـالـإـسـلـامـيـةـ مـعـاـ، بـيـدـ أـنـ فـكـرـةـ التـفـكـيـكـ نـفـسـهـاـ بـقـيـتـ عـنـهـ مـتـأـصـلـةـ فـيـ الـمـنـظـورـ الـغـرـبـيـ لـلـنـقـدـ وـالـتـفـكـيـكـ وـمـوـتـ الـحـقـيـقـةـ وـهـيـمـنـةـ النـصـ وـالـكـتـابـةـ. وـنـسـجـلـ، فـيـ الـأـخـيـرـ، أـنـ صـورـةـ الـأـلـزـمـةـ الـتـيـ يـرـسـمـهـاـ هـذـاـ الـخـطـابـ عـنـ الـعـقـلـ وـالـعـقـلـانـيـةـ الـغـرـبـيـةـ الـحـدـاثـةـ مـنـ شـأـنـهـ أـنـ تـصـيرـ نـبـعـاـ لـاـ يـنـضـبـ لـكـلـ الـتـيـارـاتـ الـنـاقـمـةـ عـلـىـ الـحـدـاثـةـ وـالـتـحـدـيـثـ فـيـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ، وـخـاصـةـ مـنـهـاـ تـلـكـ الـتـيـ تـسـتـنـدـ إـلـىـ رـؤـيـةـ ضـيـقـيـةـ إـلـىـ الـذـاتـ الـإـسـلـامـيـةـ وـتـارـيـخـهـ. وـلـاـ تـهـتـمـ كـذـلـكـ، كـثـيرـاـ، بـصـلـةـ وـضـعـيـةـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ بـالـعـولـمـةـ وـتـيـارـهـ الـجـارـفـ<sup>(36)</sup>ـ الـذـيـ يـتـلـفـعـ فـيـ وـاقـعـ الـقـوـةـ وـالـهـيـمـنـةـ الـمـفـرـوـضـ عـلـىـ الـشـعـوبـ، وـتـدـمـيـرـ سـيـادـةـ الـدـوـلـةـ الـوـطـنـيـةـ، بـعـطـاءـ مـوـتـ الـحـقـيـقـةـ وـضـرـورـةـ تـقـبـلـ فـكـرـةـ مـوـتـ الـإـنـسـانـ وـنـهـاـيـةـ الـتـارـيـخـ، تـحـتـ وـطـأـ تـصـاعـدـ نـمـوذـجـ الـإـنـسـانـ الـمـسـتـهـلـكـ وـالـعـالـمـ الـمـنـهـمـ وـالـسـائـلـ<sup>(37)</sup>ـ. وـلـيـسـ الـغـرـضـ مـنـ هـذـهـ الـمـلـاحـظـةـ نـقـضـ خـطـابـ ماـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ، وـإـنـمـاـ التـنـبـيـهـ إـلـىـ الـمـنـتـلـقـاتـ الـتـيـ قـدـ يـقـودـ إـلـيـهاـ تـبـيـنـ إـشـكـالـيـتـهـ فـيـ سـيـاقـ فـكـرـيـ وـوـضـعـ سـيـاسـيـ وـاجـتمـاعـيـ مـخـتـلـفـ عـنـ سـيـاقـ نـشـأـتـهـ فـيـ الـغـرـبـ الـحـدـاثـةـ، وـهـذـاـ مـاـ فـطـنـ إـلـيـهـ نـقـادـ هـذـاـ خـطـابـ مـنـ الـمـفـكـرـيـنـ الـمـغـارـبـيـةـ الـمـدـافـعـيـنـ عـنـ الـحـدـاثـةـ وـالـمـؤـمـنـيـنـ بـالـحـاجـةـ إـلـيـهاـ الـيـوـمـ.

### ثـالـثـاـ: "ـمـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ"ـ وـسـؤـالـ "ـالـحـدـاثـةـ"ـ فـيـ الـفـلـسـفـيـ الـمـغـرـبـيـ

يـصـعـبـ فـصـلـ تـلـقـيـ الـفـلـسـفـيـ الـمـغـرـبـيـ لـخـطـابـ ماـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ عـنـ اـهـتـمـامـ أـبـرـزـ أـعـلـامـهـ بـسـؤـالـ الـحـدـاثـةـ وـالـتـحـدـيـثـ. وـمـاـ كـانـ فـيـ مـقـدـورـ مـفـكـرـ مـثـلـ الـعـروـيـ أوـ الـجـابـرـيـ أـنـ يـذـهـلـ عـنـ أـهـمـيـةـ السـؤـالـ ذـاكـ، نـظـرـاـ إـلـىـ صـلـتـهـ الـوـثـيقـةـ بـمـشـرـوـعـهـمـاـ الـفـكـرـيـنـ الـلـذـيـنـ سـعـيـاـ مـنـ خـالـلـهـمـاـ لـتـوـطـيـنـ مـنـظـورـ الـحـدـاثـةـ

(36) هـارـفـيـ، صـ 69

(37) باـوـمـانـ، صـ 25

في الفكر العربي باعتبار ذلك شرطاً للخروج من وضعية التأثر التاريخي التي هيمنت على تفكيرهما معاً. لذلك أتى موقفهما من خطاب ما بعد الحداثة، في صيغته النقدية الراديكالية خاصة، بحسب تصورهما للحداثة وعلاقتنا الممكنته بها في سياق ثقافي واجتماعي وسياسي مأزوم. فالعروي، المؤمن بنموذجية الحداثة وكونيتها التي تحيل عنده إلى "المتاح للبشرية جماعة"، لم ير في الدفاع عن خطاب ما بعد الحداثة إلا دعوة فارغة وتوظيفاً لنقد - له سياقه الخاص - في تكريس تخرّفنا من الحداثة، وما ترتب عليه من إمعان في التمسك بالتقليد ومنظوره التراخي المنافي للحداثة. ويمكن أن نعتبر موقف طه عبد الرحمن من الحداثة وعقلانيتها نموذجاً دالاً على هذا الضرب من التوظيف. أما الجابري، وهو الذي ما انفك يشكّل في "كونية الحداثة" وأحادية نموذجيتها، فإنه كان أكثر افتتاحاً على النقد المعاصر، اعتقاداً منه أنّ المعاطب التي عرّاها هذا النقد تبقى في جملة المحاذير التي ينبغي الوعي بها ونحن في سياق التأسيس للحداثة والدفاع عن قيمها وعقلانيتها في السياق الثقافي العربي. وبيدو أن تصوّر سبلاً يبقى استمراريةً لهذه القراءة؛ إذ عمل فيه على تصحيح مغالطات مفهوم ما بعد الحداثة وبيّن صلته القوية بالمشروع الحداثي وصعوبة التعامل معه باعتباره ردّة على مبادئه التأسيسية الكبرى. وفي ما يلي بيان ذلك.

## 1. العروي وعبد الرحمن: في الكشف عن منزلقات خطاب ما بعد الحداثة

لم يشغل العروي كثيراً بخطاب ما بعد الحداثة، غير أنه ما انفك ينبه إلى مفعوله السلبي في الوعي العربي المعاصر وموقفنا من الحداثة، بل ذهب إلى حدّ اعتبار الترويج لنقده عائقاً من عوائق التحدي. ونقرأ له قوله في سياق حديثه عن معوقات التحدي: "[إنّ] العائق الأول، كما تبيّن، فكري. وهو المعارضة الغبية الجاهلة أو التفند الماكر. القول إنّ الحداثة كانت مروقاً، تطعاً، جهالة، ندم عليها أصحابها فلزمت التوبية على القائمين عليها والقائمين بها والداعين إليها. هذا عائق لا سبيل إلى استئصاله، فأمره موكول إلى الحداثة ذاتها، إما تهّرّه، وإما يتلفّها. وإذا كان التلف فكلنا خاسرون"<sup>(38)</sup>. وينمّ هذا القول، أولاً، عن اقتناع صاحبه بحتمية الحداثة التي تمثّل، وحدها، سبيل النجاة بالنسبة إلى العالم العربي، وضياعها يعني ضياع الجميع في نظره. ويسلّم القول ذاك، ثانياً، بقدرة الحداثة على تجاوز الدعوة الراديكالية الرافضة لها، وهذا ما يعني أن هذا النقد هو نتيجة طبيعية لمسار تقدم الحداثة نفسه؛ فالأمر لا يتعلّق بانقلاب عليها وقطيعة مع منطقها، وإنما بعميق لها ولنتائجها؛ إنها مراجعة ذاتية أنجزها العقل الحديث لنفسه، ولا ينبغي تصويرها، في الوعي العربي الذي لم يستوعب بعد منطق الحداثة، في صورة تنكّر أو كفرٍ بها وتسفيهٍ لها. إنّ ما يزعج العروي في التقدّم الجذري للحداثة هو إمكانية أن يوظّفه خصومها في الثقافة العربية اليوم في نسف مشروع التحدي وتكريس موقف عدمي و"اليته" (استلابه) للإنسان، وتهديده المستمر لشرطنا الإنساني ووضتنا في العالم ... إلخ، يجري الترويج لعمق الحداثة والتنكّر لقيمها الإنسانية وتقديمها، إلى الوعي العربي، في صورة خطر داهم يتهدّد وجودنا برمته. وليست المشكلة الأساسية، في هذا السياق، مع مضمون خطاب ما بعد الحداثة،

(38) عبد الله العروي، عوائق التحدي (الرباط: منشورات اتحاد كتاب المغرب، 2007)، ص 23.

الـذـيـ يـعـكـسـ لـحـظـةـ مـنـ لـحـظـاتـ تـطـورـ الشـقـافـةـ الـغـرـبـيـةـ كـمـاـ يـتـجـلـىـ بـوـضـوـحـ فـيـ الـفـنـ وـالـأـدـبـ الـمـعـاـصـرـ<sup>(39)</sup>ـ،ـ وـإـنـمـاـ مـعـ تـوـظـيـفـ خـصـوـمـهـاـ لـهـ فـيـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ إـلـاـ مـاـ كـانـ يـرـمـيـ إـلـاـ نـسـفـ مـشـرـوـعـيـتـهـاـ فـيـ الـوـعـيـ الـعـرـبـيـ الـمـعـاـصـرـ،ـ إـلـاـ ظـهـارـ تـهـافـتـ "ـتـمـوـذـجـهـاـ الـغـرـبـيـ"ـ فـيـ سـعـيـ مـنـهـ لـتـأـسـيـسـ مـاـ اـعـتـبـرـهـ "ـحـدـاثـةـ إـسـلـامـيـةـ"ـ ذـاتـ نـفـسـ أـخـلـاقـيـ تـعـيـدـ بـنـاءـ فـهـمـنـاـ لـلـإـنـسـانـ وـالـسـيـاسـةـ وـالـعـالـمـ عـلـىـ أـنـقـاضـ مـبـادـئـ الـحـدـاثـةـ الـغـرـبـيـةـ وـقـيـمـ الـأـنـوـارـ.ـ فـكـمـاـ أـنـ كـثـيرـاـ مـنـ نـقـادـ الـحـدـاثـةـ الـمـعـاـصـرـيـنـ ذـهـبـوـاـ إـلـىـ إـظـهـارـ ضـيـقـ عـقـلـانـيـتـهـاـ وـانـغـلـاقـهـاـ،ـ وـشـدـدـوـاـ عـلـىـ مـاـ كـانـ لـمـشـرـوـعـ الـهـيـمـةـ عـلـىـ الـطـبـيـعـةـ وـتـرـيـضـهـاـ مـنـ نـتـائـجـ سـلـيـةـ عـلـىـ تـصـوـرـ الـإـنـسـانـ لـذـاهـهـ وـالـعـالـمـ،ـ وـعـلـىـ اـقـتـرـانـ الـعـقـلـانـيـةـ الـحـدـاثـةـ بـفـكـرـةـ النـقـدـ الـتـيـ سـرـعـانـ مـاـ اـتـخـذـتـ مـنـ الـأـخـلـقـ وـالـقـيـمـ الـدـينـيـةـ وـالـجـمـالـيـةـ مـوـضـوـعـاـ لـهـ،ـ فـكـذـلـكـ اـعـتـبـرـ عـبـدـ الرـحـمـنـ أـنـ الـحـدـاثـةـ الـغـرـبـيـةـ أـفـقـرـتـ الـإـنـسـانـ مـنـ كـيـنـونـتـهـ وـفـصـلـتـهـ عـنـ كـلـ مـاـ هـوـ جـوـهـرـيـ فـيـ وـجـوـهـرـهـ.ـ وـالـحـدـاثـةـ عـنـدـهـ تـقـوـمـ عـلـىـ مـسـلـمـاتـ ثـلـاثـ،ـ يـمـكـنـ أـنـ تـرـجـعـ إـلـيـهاـ أـسـبـابـ أـزـمـتـهـاـ،ـ هـيـ:ـ اـعـتـقـادـهـاـ أـنـ الـعـقـلـ يـعـقـلـ كـلـ شـيـءـ أـوـلـاـ،ـ وـأـنـ الـإـنـسـانـ يـسـوـدـ الـطـبـيـعـةـ ثـانـيـاـ،ـ وـأـنـ كـلـ شـيـءـ يـقـبـلـ النـقـدـ ثـالـثـاـ<sup>(40)</sup>ـ.ـ وـلـاـ يـتـرـدـدـ عـبـدـ الرـحـمـنـ فـيـ اـعـتـبـارـ هـذـهـ مـسـلـمـاتـ آـفـاتـ قـادـتـ إـلـىـ تـكـرـيـسـ أـزـمـةـ الـإـنـسـانـ فـيـ الـمـجـمـعـاتـ الـغـرـبـيـةـ،ـ فـ"ـالـحـدـاثـةـ قـدـ وـرـثـتـ أـهـلـ الـغـرـبـ ضـعـفـاـ رـوـحـيـاـ فـاحـشـاـ عـلـىـ قـدـرـ هـذـهـ الـقـوـةـ الـمـادـيـةـ السـاحـقـةـ"<sup>(41)</sup>ـ.ـ وـمـاـ يـعـنـيـهـ فـيـ الـحـدـاثـةـ لـيـسـ طـابـعـهـاـ الـمـادـيـ،ـ فـحـسـبـ،ـ الـذـيـ حـوـلـ الـإـنـسـانـ إـلـىـ آـلـهـأـ أوـ بـهـيـمـةـ ضـالـةـ (ـعـلـىـ حـدـ تـوـصـيـفـ هـايـدـغـرـ)،ـ وـإـنـمـاـ بـالـأـخـرـيـ انـفـصـالـهـاـ التـامـ عـنـ الـدـينـ وـأـخـلـاقـيـاتـهـ،ـ فـقـدـ سـلـمـتـ الـحـدـاثـةـ بـإـمـكـانـيـةـ الـانـفـصـالـ عـنـ الـدـينـ،ـ كـمـاـ سـلـمـتـ بـضـرـورةـ الـفـصـلـ بـيـنـ الـعـقـلـ وـالـعـلـمـ،ـ وـبـمـحـوـ الـقـدـسـيـةـ أـيـضـاـ.ـ وـتـكـونـ،ـ وـفـقـ هـذـاـ الـمـنـظـورـ،ـ اـنـفـصـالـاـ تـامـاـ عـنـ الـدـينـ؛ـ فـالـسـيـاسـةـ فـيـ الـحـدـاثـةـ قـامـتـ عـلـىـ عـقـدـ اـجـتـمـاعـيـ رـامـ تـأـسـيـسـ إـرـادـةـ عـامـةـ تـكـونـ هـيـ مـنـبـعـ الـمـشـرـوـعـيـةـ الـسـيـاسـيـةـ،ـ فـيـ حـيـنـ أـنـ الـحـدـاثـةـ الـدـينـيـةـ مـاـ كـانـتـ غـيـرـ مـحـاـوـلـةـ لـنـسـفـ سـلـطـةـ الـدـينـ وـأـوـلـيـتـهـ<sup>(42)</sup>ـ،ـ وـالـحـدـاثـةـ الـأـخـلـاقـيـةـ نـفـسـهـاـ كـانـتـ تـكـرـيـسـاـ لـعـبـودـيـةـ الـإـنـسـانـ لـلـعـقـلـ ...ـ إـلـخـ<sup>(43)</sup>ـ.ـ وـيـكـمـنـ خـلـفـ هـذـاـ التـصـوـرـ تـسـلـيـمـ ضـمـنـيـ بـأـنـ الـحـدـاثـةـ كـانـتـ نـزـوـعـاـ إـلـىـ الـقـدـسـيـةـ عـنـ الـعـالـمـ وـفـقـاـ لـمـاـ اـنـتـهـىـ إـلـيـهـ تـحـلـيلـ مـاـكـسـ فـيـرـ (ـ1864ـ1920ـ)ـ مـاـx~Weberـ لـعـلـاقـةـ الـحـدـاثـةـ بـالـعـقـلـةـ وـالـبـيـرـوـقـراـطـيـةـ.ـ وـيـسـتـنـدـ عـبـدـ الرـحـمـنـ إـلـىـ الـطـابـ

(39) آرـثـرـ سـيـ دـانـتـوـ،ـ بـعـدـ نـهـاـيـةـ الـفـنـ:ـ الـفـنـ الـمـعـاـصـرـ وـحـدـودـ الـتـارـيـخـ،ـ تـرـجـمـةـ هـادـيـةـ الـعـرـقـيـ (ـالـبـحـرـيـنـ:ـ هـيـةـ الـبـحـرـيـنـ لـلـنـقـافـةـ وـالـأـثـارـ،ـ 2021ـ)،ـ صـ35ـ.

(40) يـنـبـغـيـ التـفـكـيرـ،ـ بـجـدـيـةـ،ـ فـيـ مـاـ الـذـيـ يـدـفـعـ الـإـسـلـامـيـنـ،ـ مـثـلـاـ،ـ إـلـىـ الـاهـتـمـامـ الـكـثـيرـ بـيـوـمـانـ وـفـكـرـهـ عـنـ الـحـدـاثـةـ السـائـلـةـ.

(41) طـهـ عـبـدـ الرـحـمـنـ،ـ رـوـحـ الـحـدـاثـةـ:ـ الـمـدـخـلـ إـلـىـ تـأـسـيـسـ الـحـدـاثـةـ الـإـسـلـامـيـةـ،ـ طـ 3ـ (ـبـيـرـوـتـ/ـ الدـارـ الـيـضـاءـ:ـ الـمـرـكـزـ الـثـقـافـيـ الـعـرـبـيـ،ـ 2013ـ)،ـ صـ46ـ.

(42) المـرـجـعـ نـفـسـهـ،ـ صـ57ـ.

(43) يـنـظـرـ نـقـدـهـ لـمـاـ سـيـّـاهـ "ـالـقـرـاءـاتـ الـحـدـاثـةـ الـمـقـلـدـةـ"ـ،ـ فـيـ:ـ الـمـرـجـعـ نـفـسـهـ،ـ صـ177ـ.ـ حـوـلـ الـبـعـدـ الـدـينـيـ لـفـكـرـ عـبـدـ الرـحـمـنـ يـنـظـرـ مـقـارـبـةـ نـقـدـيـةـ فـيـ:ـ رـشـيدـ الـحـاجـ صـالـحـ،ـ "ـنـقـدـ فـلـسـفـةـ طـهـ عـبـدـ الرـحـمـنـ الـاتـسـمـيـةـ:ـ تـدـاـخـلـ الـسـيـاسـةـ وـالـدـينـ وـالـأـخـلـقـ وـالـحـدـاثـةـ"ـ،ـ تـبـيـّـنـ،ـ مجـ 13ـ،ـ العـدـدـ 50ـ (ـخـرـيفـ 2024ـ)،ـ صـ119ـ.

(44) عـبـدـ الرـحـمـنـ،ـ صـ48ـ.

المادي للحداثة الغربية، وفصلها بين الدين والحياة العامة، لتسفيه مكتسباتها (ما يسمّيه التطبيق الغربي للحداثة) وتعبيد الطريق أمام نموذج جديد لتطبيق "روح الحداثة" تكون "الحداثة الإسلامية" عنوانه الأعمّ. وعلاوة على ذلك، ينهل هذا الموقف من رؤية "أخلاقيّة صوفية" تقع على الطرف التقى من المبادئ المؤسسة للحداثة، من قبيل عقلانيتها النقدية، ونفسها التاريخي التقديمي، وتسليمها بمركزية الإنسان والفعل الأخلاقي والسياسي؛ إذ يُرجع إلى تلك المبادئ وتطبيقاتها الغربية المال المأساوي للمجتمعات الحديثة ووضعية الإنسان فيها.

لامرية في أن نقد عبد الرحمن الأخلاقي للحداثة ليس بالشيء الجديد على نقادها في العالمين الغربي والعربي، فهو ينهل من وعي مأساوي بواقع المجتمعات الغربية إبان مطلع القرن العشرين واندلاع الحرربين العالميتين، وهو يتّصل في حدث بعض فلاسفة الحضارة، منذ أوّفالد شبنغلر Oswald Arnold Spengler (1880-1936)، عن أ Fowler الغرب ونهاية سردية انتصاره الحضاري، وفي تمسّك آخر في الاختيار الأخلاقي - الذي يواجهه وضعية المجتمع الغربي الممزق، كما في الصورة الحالكة التي رسمها نقاد العقلانية الحداثية عن استلاب الإنسان الحديث في عالم انهارت كل قيمه ومعاييره، منذ حدث نيتشه عن العدمية إلى نقد مدرسة فرانكفورت للمجتمع الغربي الذي انتهى، مع المتأخررين من فلاسفتها، إلى اعتبار تشخيص أمراضه المهمة الأولى والرئيس للفسقهم الاجتماعية والسياسية<sup>(45)</sup>.

يرى عبد الرحمن أنّ "ماهية الإنسان ماهية أخلاقية"، وهو ما يعني عنده رفضاً جذريّاً للمنتظر المادي والاقتصادي للحداثة الغربية، لكنه يجد في موقفه هذا منطلقاً لتأويل أخلاقي لكونية الحداثة يجعل منها إبداعاً إنسانياً لا يحترمه الغرب من دون غيره من الأمم والحضارات. غير أنه سرعان ما ينتهي إلى صهر الكونية في خصوصية "تجربة/ حداثة" إسلامية ذات نفس صوفي فاقد، يُعلي من شأن الدين ويعتبر الاتصال به أساس الأخلاق والسياسة. وهذه مقاربة لا تختلف عن النقد اللاهوتي للحداثة الذي عرّفه الفكر الفلسفـي والديني الألماني منذ نهاية القرن التاسع عشر<sup>(46)</sup>؛ لذلك رأى فيها خصوصها تكريساً لوعي ديني شقي ينשط قوى اللاعقل الثاوية في الذات والتراث ويعلن فشل العقل الفلسفـي أمام واقع لا ينفك ينفلت من قبضته، وتنسف كلّ جهد لتوطين وعي إيجابي بالحداثة ومكتسباتها في الثقافة العربية الإسلامية. ورأى فيها أنصارها أيضاً منظوراً مختلـفاً للذات يتبع لها تحقيق استقلالها والانحراف الفعال في الحداثة من موقع التجربة الإسلامية والحاجة إلى الإبداع الذي يُحيي في الوعي الإسلامي صلة بالديني والمطلق من جديد، وينبأ به عمّا سماه "ضيق العلمنـية". بيد أنّ الثابت، في الأحوال جميعها، أنّ فكر عبد الرحمن يمثل نموذجاً للتوظيف العربي للنقد المعاصر للحداثة في السياق الثقافي العربي الإسلامي؛ إذ إنّه يستند إلى نقد العقل، كما تبلور في خطاب الفلاسفة المعاصرـين، لإثبات منظوره الصوفي المتبرـم من النموذج الغربي للعقلانية، بما يترتب عليه من رفض

(45) Louis Carré, Axel Honneth: *Le droit de la reconnaissance* (Paris: Michalon, 2013), p. 33; Charles Taylor, *Les sources du moi: La formation de l'identité moderne* (Paris: Seuil, 1998), p. 768.

(46) Theodore Kisiel & Thomas Sheehan (eds.), *Becoming Heidegger: On the Trail of His Early Occasional Writings, 1910-1927* (Evanston, IL: Northwestern University Press, 2007), p. 14.

للتصور الحديث للسياسة والدولة والحرية والأخلاق، ويرتـدـ ذلك كـلـهـ إـلـىـ تـبـعـيـةـ لـلـمـطـلـقـ يـفـقـدـ فـيـهـاـ إـلـىـ قـدـرـتـهـ عـلـىـ الـمـبـادـرـةـ وـالـفـعـلـ.ـ وـمـاـ كـانـ الرـجـلـ فـيـ حـاجـةـ إـلـىـ كـتـابـةـ نـصـ رـوـحـ الـحـدـاثـةـ،ـ الـذـيـ يـمـكـنـ اـعـتـيـارـهـ بـيـانـاـ فـيـ ذـمـ الـحـدـاثـةـ الـغـرـبـيـةـ وـتـسـفـيـهـ مـكـتـسـبـاـهـ،ـ حـتـىـ يـصـدـعـ بـرـفـضـهـ لـلـحـدـاثـةـ الـغـرـبـيـةـ،ـ طـالـمـاـ أـنـهـ أـرـسـىـ دـعـائـمـ مـوـقـعـهـ مـنـهـاـ فـيـ سـيـاقـ مـشـرـوـعـهـ الـفـلـسـفـيـ الـذـيـ اـخـتـارـ لـهـ عـنـوانـ فـقـهـ الـفـلـسـفـةـ.ـ وـذـهـبـ عـبـدـ الرـحـمـنـ فـيـ هـذـاـ الـمـشـرـوـعـ،ـ الـذـيـ يـبـذـلـ فـيـ جـهـدـاـ كـبـيـراـ فـيـ بـنـاءـ مـنـظـورـ فـلـسـفـيـ يـبـعـثـ فـيـ الـوـعـيـ الـعـرـبـيـ الـإـسـلـامـيـ رـوـحـ الـإـبـدـاعـ وـيـحـرـرـهـ مـنـ أـرـبـاقـ التـقـلـيدـ بـحـسـبـ اـعـقـادـ<sup>(47)</sup>ـ،ـ إـلـىـ رـيـطـ الـفـلـسـفـةـ بـالـتـرـجـمـةـ،ـ مـعـتـبـرـاـ أـنـ سـبـبـ جـمـودـ تـارـيـخـنـاـ الـفـلـسـفـيـ رـاجـعـ،ـ أـسـاسـاـ،ـ إـلـىـ أـعـطـابـ التـرـجـمـةـ وـأـخـطـائـهـ،ـ وـأـنـ دـعـائـمـ الـوـعـيـ بـالـنـقـسـ الـإـبـدـاعـيـ لـلـتـرـجـمـةـ لـيـسـ لـهـ إـلـىـ أـنـ يـكـرـسـ حـالـةـ الـجـمـودـ نـفـسـهـاـ فـيـ سـيـاقـنـاـ الـمـعـاـصـرـ.ـ غـيـرـ أـنـهـ سـرـعـانـ مـاـ يـصـهـرـ الـإـبـدـاعـ فـيـ دـائـرـةـ جـدـ ضـيـقـةـ تـنـسـفـ كـوـنـيـتـهـ وـتـحـصـرـهـ فـيـ دـوـاـئـرـ الـمـجـالـ الـتـدـاـولـيـ وـخـصـوـصـيـتـهـ الـدـيـنـيـةـ وـالـلـغـوـيـةـ وـالـعـقـائـدـيـةـ؛ـ ذـلـكـ أـنـ الـإـبـدـاعـ اـنـقـلـبـ،ـ عـنـهـ،ـ إـلـىـ اـنـغـمـاسـ فـيـ الـخـصـوـصـيـةـ الـتـيـ تـتـعـيـنـ وـفـقـاـ لـمـقـتـضـيـاتـ الـمـجـالـ الـتـدـاـولـيـ كـمـاـ يـتـحـدـدـ بـالـعـقـيـدـةـ وـالـلـغـةـ،ـ وـفـيـ ضـوـئـهـ تـتـضـحـ أـهـمـيـةـ الـتـرـجـمـةـ فـيـ فـعـلـ الـتـفـلـسـفـ<sup>(48)</sup>ـ.ـ وـتـحـلـ الـلـغـةـ<sup>(49)</sup>ـ،ـ فـيـ حـالـةـ عـبـدـ الرـحـمـنـ،ـ مـحـلـ الـتـارـيـخـ،ـ وـيـفـقـدـ الـمـفـهـومـ وـأـعـيـتـهـ لـيـنـصـهـرـ فـيـ تـنـاغـمـهـ الـمـنـطـقـيـ الـصـورـيـ النـابـعـ مـنـ مـبـداـ الـلـزـومـ الـمـنـطـقـيـ،ـ لـيـتـخـذـ الـقـوـلـ الـفـلـسـفـيـ عـنـهـ شـكـلـ فـكـرـ مـنـطـقـيـ صـورـيـ ضـعـيـفـ الـصـلـةـ بـالـوـاقـعـ الـاجـتـمـاعـيـ وـالـشـرـطـ الـسـيـاسـيـ.ـ لـذـلـكـ،ـ لـمـ يـتـرـدـدـ الـبـعـضـ فـيـ اـعـتـارـ فـكـرـهـ الـفـلـسـفـيـ صـدـىـ لـلـمـنـعـطـفـ الـلـغـوـيـ الـذـيـ شـهـدـتـهـ الـفـلـسـفـةـ الـمـعـاـصـرـ.ـ

بـذـلـكـ،ـ يـرـمـيـ فـصـلـ "ـرـوـحـ"ـ الـحـدـاثـةـ عـنـ "ـوـاقـعـهـ"ـ إـلـىـ نـسـفـ كـوـنـيـتـهـ قـيمـ الـحـدـاثـةـ الـغـرـبـيـةـ.ـ وـيـجـدـ هـذـاـ الـمـوـقـعـ مـنـطـلـقـاتـهـ الـفـلـسـفـيـةـ فـيـ تـصـورـ عـبـدـ الرـحـمـنـ لـلـفـلـسـفـةـ نـفـسـهـاـ باـعـتـيـارـهـاـ قـدـرـةـ عـلـىـ الـإـبـدـاعـ اـفـتـرـرـ إـلـيـهـاـ الـفـكـرـ الـفـلـسـفـيـ الـعـرـبـيـ طـوـالـ تـارـيـخـهـ.ـ وـلـاـ شـأـكـ فـيـ أـنـ دـفـاعـهـ عـنـ الـإـبـدـاعـ يـقـيـ دـعـوـةـ لـهـ مـاـ يـبـرـرـهـ،ـ خـاصـةـ فـيـ ظـلـ الـجـوـ الـثـقـافـيـ وـالـسـيـاسـيـ الـعـامـ الـذـيـ تـشـكـلـ فـيـهـ وـعـيـهـ الـفـلـسـفـيـ؛ـ وـهـوـ جـوـ غـلـبـ عـلـيـهـ وـعـيـ مـأـسـاوـيـ بـالـهـزـيـمـةـ وـالـانـحـطـاطـ،ـ وـحـمـلـ الـمـفـكـرـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ وـالـعـرـبـ عـلـىـ الـتـفـكـيرـ فـيـ أـسـبـابـهـ وـسـبـلـ الـخـرـوجـ مـنـ<sup>(50)</sup>ـ.ـ غـيـرـ أـنـهـ لـاـ يـتـسـاءـلـ،ـ مـثـلـاـ،ـ عـمـنـ يـحـقـ لـهـ تـعـيـنـ مـحـدـدـاتـ الـمـجـالـ الـتـدـاـولـيـ الـذـيـ يـعـتـبـرـ الـوـعـيـ بـهـ شـرـطـ الـتـرـجـمـةـ الـمـبـدـعـةـ وـالـخـلـاقـةـ لـرـوـحـ الـتـفـلـسـفـ،ـ وـلـاـ عـنـ مـفـعـولـ الـمـحـدـدـاتـ الـتـيـ اـخـتـارـهـاـ فـيـ تـوـجـيـهـ الـقـوـلـ الـفـلـسـفـيـ وـتـحـدـيـدـ طـبـيـعـتـهـ،ـ وـلـاـ حـتـىـ عـنـ الـحـدـودـ الـمـتـصـورـةـ بـيـنـ الـخـصـوـصـيـةـ وـالـكـوـنـيـةـ الـتـيـ يـرـسـمـهـاـ الـمـجـالـ الـتـدـاـولـيـ لـفـعـلـيـ الـتـرـجـمـةـ وـالـتـفـلـسـفـ.ـ مـاـ يـهـمـهـ هـوـ تـأـسـيـسـ حـدـاثـةـ إـسـلـامـيـةـ يـكـونـ فـيـهـاـ الـإـنـسـانـ الـمـسـلـمـ فـعـالـاـ فـيـ الـعـالـمـ الـمـعـاـصـرـ لـاـ مـجـرـدـ مـنـفـعـلـ بـهـ،ـ وـهـوـ مـنـ هـذـهـ الـجـهـةـ يـتـنـصـرـ لـلـخـصـوـصـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ فـيـ صـيـغـتـهـاـ الـصـوـفـيـةـ الـدـيـنـيـةـ باـسـمـ تـهـافـتـ الـمـشـرـوـعـ الـحـدـاثـيـ وـضـيـقـ أـفـقـهـ،ـ وـدـرـءـاـ لـلـشـرـورـ الـتـيـ جـلـبـهـاـ لـلـإـنـسـانـ وـالـإـنـسـانـيـةـ.

(47) طـهـ عـبـدـ الرـحـمـنـ،ـ فـقـهـ الـفـلـسـفـةـ:ـ الـمـفـهـومـ وـالـتـأـثـيلـ،ـ طـ 2ـ (ـبـيـرـوـتـ/ـالـدـارـ الـبـيـضـاءـ:ـ الـمـرـكـزـ الـثـقـافـيـ الـعـرـبـيـ،ـ 2005ـ)،ـ صـ 11ـ.

(48) المـرـجـعـ نـفـسـهـ،ـ صـ 216ـ.

(49) Taha Aderrahmane, *Langage et Philosophie* (Rabat: Publications de la faculté des lettres et des sciences humaines, 1979), p. 5.

(50) طـهـ عـبـدـ الرـحـمـنـ،ـ الـفـلـسـفـوـفـ اـبـنـ سـاعـتـهـ (ـالـبـيـاطـ:ـ مـرـكـزـ مـغـارـبـ،ـ 2025ـ)،ـ صـ 13ـ.

يعن عبد الرحمن في نقد المشروع الحداثي، وما انفك يرمي المدافعين عنه بالمقيدة، وينفي عنهم القدرة على التأسيس لمشروع فلسفي أو حضاري قادر على الاهتداء إلى روح الحداثة، ويعيب عليهم انها هم بالنموذج الغربي الحديث وذهولهم عن "آفاته" التي كشف عنها المفكرون الغربيون المعاصرون أنفسهم. أما العروي، فظلّ، ولا يزال، مؤمّناً بأنّ الحداثة تمثّل السقف الفكري الذي ينبغي أن تتطلع إليه على الرغم من كل ما قيل عن عيوبها، وبصرف النظر عن الانتقادات الكثيرة التي يمكن توجيهها إلى نموذجها الغربي. وما يعييه على الفكر الفلسفى العربي هو عدم إسهامه في ترسیخ منظور الحداثة وعقلانيتها، وانفصاله المزمن عن التاريخ ودروسه. وهذا ما يتضح، على سبيل المثال لا الحصر، في دفاعه عن نظرية الدولة في صيغتها الهيغلية التي تمثل أفقاً - بل سقفاً - بالنسبة إلى فكرنا السياسي على الرغم من كل الانتقادات التي وُجهت إليها منذ ماركس واللاحقين عليه؛ إذ هي نظرية ترسّخ عقلانية الدولة والحرية والأخلاق، وتبني الوعي العربي إلى الحاجة إلى دولة مؤسسات قوية بعيداً عن المنظور الطوباوي المغترق في المثالية السياسية. بذلك، تكون الحداثة السياسية حاجة قائمة اليوم بالنسبة إلى العالم العربي، ولا مجال إلى نقض ما تحبل به من تصور للمواطن والحرية والسلطة ولعلاقة الدين بالدولة ... إلخ، وهذا عينه ما يرفضه عبد الرحمن باسم تناقضات الحداثة السياسية والأزمة السياسية التي ترتبّت عليها في السياق الغربي المعاصر. غير أنه يؤسس رفضه ذاك على منظور ديني ينسف فكرة التعاقد وعقلانية الدولة، ويعيد بناء المجال السياسي برمته على التبعية للدين والمطلق<sup>(51)</sup>.

وبدلاً من الاكتفاء بشيطنة الحداثة الغربية ورسم صورة حالكة عن قيمها ومكتسباتها، يجب الوعي بحاجة الوعي العربي إليها من أجل فهم وضعية التأخر التاريخي وسبل الانعتاق منه. وفي هذا الإطار، يغدو الترويج غير النقدي للنقد المعاصر للحداثة عائقاً من عوائق التحديث في العالم العربي. وضدّاً على ذلك، يحاول العروي إثبات حاجتنا إلى استيعاب مكتسبات الحداثة من أجل تحقيق ما سماه ثورة ثقافية تخرج الوعي العربي من ماضيته وتمكنه من الانخراط في مجريات العالم المعاصر. فهو، من هذا المنظور، مؤمن بكونية الحداثة وإمكانية الانتظام فيها متى تحقق استيعاب قيمها وعقلانيتها في مختلف مستوياتها؛ الفكرية، والسياسية، والأحلاقية، والاجتماعية ... إلخ. لذلك، حاول تصحيح الصورة التي رسخت في الذهن العربي عن الغرب، خاصة بُعيد مرحلة التحرّر، التي وظفت فيها مختلف الخطابات الناقلة للحداثة في الغرب. ومن المعلوم أنّ هذا المفكّر ميّز في الغرب بين صورتين؛ "غرب الظاهر" و"غرب الحلم"؛ "الغرب المتوحش" و"الغرب التائب"<sup>(52)</sup>؛ "غرب الإمبريالية" و"غرب النزعة الإنسانية"<sup>(53)</sup>؛ ذلك الغرب المرتبط بثقافة يمكنها أن تفید الجميع، طالما أنّ الغرض من كل ثقافة هو "الإسهام في الرفع من مستوى الإنسان" على حدّ تعبيره<sup>(54)</sup>، في خطوة ترمي إلى إثبات كونية الغرب

(51) عبد الرحمن، روح الحداثة، ص 50.

(52) عبد الله العروي، الأيديولوجيا العربية المعاصرة (بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1999)، ص 85.

(53) عبد الله العروي، العرب والفكر التاريخي (بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2006)، ص 21.

(54) المرجع نفسه، ص 115.

ونقاشهـ التي بـاتـتـ الـيـوـمـ فـيـ حـكـمـ الـمـتـاحـ لـلـبـشـرـيـةـ جـمـعـاءـ فـيـ نـظـرـهـ<sup>(55)</sup>؛ إـذـ إـنـ التـعـرـفـ عـلـىـ حـقـيـقـةـ كـوـنـيـةـ هوـ فـيـ وـاقـعـ الـأـمـرـ طـرـيـقـ التـصالـحـ مـعـ الـذـاتـ<sup>(56)</sup>. بـذـلـكـ، يـكـونـ الـانـخـراـطـ فـيـ الـكـوـنـيـةـ شـرـطـاـ لـلـخـرـوجـ منـ وـضـعـيـةـ التـأـخـرـ التـارـيـخـيـ، وـتـحـرـرـاـ مـنـ قـيـصـةـ الـنـزـعـاتـ السـلـفـيـةـ وـتـأـوـيـلـاـ الـضـبـيـقـ لـلـتـرـاثـ وـالـمـضـمـونـ الـقـومـيـ لـلـثـقـافـةـ الـعـرـبـيـةـ<sup>(57)</sup>. وـلـعـلـ ماـ يـمـيـزـ تـصـوـرـ الـعـرـوـيـ لـلـكـوـنـيـةـ أـنـ ظـلـ يـرـبـطـهـ بـالـحـدـاثـةـ نـفـسـهـ، مـاـ يـعـنـيـ أـنـ عـقـلـانـيـتـهـ لـاـ تـشـكـلـ عـائـنـاـ كـمـاـ يـزـعـمـ أـنـصـارـ نـقـدـهـ الـرـادـيـكـالـيـ.

## 2. الجابري وسبيلـاـ: فـيـ تـصـحـيـحـ مـعـنـيـ ماـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ

اعتـرـضـ الجـابـرـيـ عـلـىـ الـاـخـتـيـارـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ وـعـيـهـ بـحـاجـتـنـاـ الـمـلـحـةـ إـلـىـ الـحـدـاثـةـ، مـعـتـرـبـاـ أـنـ الـفـارـقـ كـبـيرـ بـيـنـ الـدـعـوـةـ إـلـىـ الـانـخـراـطـ فـيـ الـحـدـاثـةـ باـسـمـ كـوـنـيـتـهـ، التـيـ تـجـعـلـ مـنـهـاـ أـمـرـاـ مـتـاحـاـ لـلـبـشـرـيـةـ جـمـعـاءـ، وـالـتـنـبـيـهـ إـلـىـ أـنـ تـلـقـيـ الـعـرـبـ لـلـحـدـاثـةـ اـتـخـذـ شـكـلـ عـمـلـيـةـ جـرـاحـيـةـ قـيـصـرـيـةـ لـاـسـتـبـنـاتـ جـذـورـهـاـ فـيـ الـوـجـدـانـ الـعـرـبـيـ. وـلـاـ يـصـدـرـ هـذـاـ مـفـكـرـ عـنـ حـنـينـ إـلـىـ التـقـلـيدـ أـوـ كـفـرـ بـالـحـدـاثـةـ، وـإـنـمـاـ غـرـضـهـ تـجـنـبـ الـأـسـئـلـةـ الـمـزـيفـةـ التـيـ تـجـعـلـنـاـ نـذـهـلـ عـنـ طـبـيـعـةـ عـلـاقـتـنـاـ بـالـحـدـاثـةـ الـعـرـبـيـةـ<sup>(58)</sup>. وـمـهـمـاـ كـنـاـ مـتـحـمـسـينـ لـهـذـهـ الـحـدـاثـةـ وـمـؤـمـنـينـ بـحـاجـتـنـاـ إـلـىـ مـكـتـسـبـاتـهـ، فـإـنـ هـذـاـ لـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـنـسـيـنـاـ "ـوـجـهـهـاـ الـآـخـرـ"ـ عـلـىـ حـدـ تـبـيـعـيـ

الـجـابـرـيـ، وـالـمـتـمـثـلـ فـيـ اـرـتـبـاطـهـ بـفـكـرـةـ التـفـوـقـ الـأـوـرـبـيـ كـمـاـ بـالـمـشـرـوـعـ الـإـمـبـرـيـالـيـ وـالـصـهـيـونـيـ<sup>(59)</sup>. وـتـمـسـيـ هـذـهـ مـلـاحـظـةـ عـلـىـ دـرـجـةـ كـبـيرـةـ مـنـ الـأـهـمـيـةـ عـنـدـمـاـ يـسـتـنـدـ إـلـيـهـاـ الـجـابـرـيـ فـيـ تـفـسـيـرـ وـضـعـيـةـ الـفـشـلـ التـيـ يـعـيـشـهـاـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ بـسـبـبـ إـجـهـاـضـ مـشـرـوـعـهـ الـنـهـضـوـيـ. فـإـذـاـ تـعـثـرـ الـمـشـرـوـعـ الـنـهـضـوـيـ الـعـرـبـيـ، يـقـولـ الـجـابـرـيـ، فـلـأـنـهـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ مـشـرـوـعـ قـدـرـ لـهـ أـنـ يـسـبـحـ ضـلـلـ مـشـرـوـعـيـنـ عـاتـيـنـ يـتـحـركـانـ مـنـ مـوـقـعـ الـقـوـةـ وـالـهـيـمـيـنـةـ وـالـمـعـرـفـةـ وـالـسـلـطـةـ؛ الـمـشـرـوـعـ الـاسـتـعـمـارـيـ الـأـوـرـبـيـ وـالـمـشـرـوـعـ الـصـهـيـونـيـ<sup>(60)</sup>. كـانـ الـأـخـرـ، فـيـ نـظـرـ هـذـاـ مـفـكـرـ، "ـرـدـ فـعـلـ اـحـتـجـاجـيـ عـلـىـ عـدـ وـفـاءـ الـحـدـاثـةـ الـأـوـرـبـيـةـ لـلـمـبـادـيـعـ التـيـ بـشـرـتـ بـهـاـ، مـبـادـيـعـ الـحـرـيـةـ وـالـمـساـواـةـ وـإـعـلـانـ حـقـوقـ الـإـنـسـانـ وـالـمـوـاـطـنـ"<sup>(61)</sup>، فـضـلـاـ عـنـ أـنـ الـمـشـرـوـعـ الـاسـتـعـمـارـيـ جـسـدـ الـوـجـهـ الـمـتـوـحـشـ لـلـغـرـبـ، وـكـرـسـ فـيـ الـأـذـهـانـ صـورـةـ الـغـازـيـ الـمـهـدـدـ لـوـجـودـ الـعـرـبـ، وـالـمـنـتـقـصـ مـنـ قـيـمـةـ فـكـرـهـمـ وـتـرـاثـهـمـ، بـلـ إـنـ "ـالـمـرـكـزـيـةـ الـأـوـرـبـيـةـ التـيـ وـجـهـتـ تـفـكـيرـ الـاشـتـراـكـيـنـ وـالـمـارـكـسـيـنـ دـاخـلـ أـورـوـبـاـ هـيـ نـفـسـهـاـ التـيـ هـيـمـنـتـ عـلـىـ تـفـكـيرـ السـوـفـيـاتـيـنـ مـنـذـ لـيـنـينـ". أـضـفـ إـلـىـ ذـلـكـ رـغـبـةـ الـرـوـسـ الـخـاصـةـ فـيـ أـنـ يـكـونـواـ أـوـرـوـبـيـنـ<sup>(62)</sup>.

(55) عبد الله العروي، مفهوم العقل: مقالة في المفارقات (بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1999)، ص 16.

(56) العروي، الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص 201.

(57) المرجع نفسه، ص 61.

(58) محمد عابد الجابري، وجهة نظر: نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر، ط 5 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2015)، ص 79.

(59) محمد عابد الجابري، المشروع النهضوي العربي: مراجعة نقدية، ط 5 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016)، ص 29.

(60) المرجع نفسه، ص 38.

(61) المرجع نفسه، ص 33.

(62) المرجع نفسه، ص 32.

تمثل هذه المشاريع الثلاثة، الصهيوني، والاستعماري، ومشروع الاشتراكية العالمية، الوجه الآخر للحداثة الغربية، وهو الوجه الذي ما انفك يحمل على مساعدة أسس هذه الحداثة وشعاراتها الكبرى في الغرب كما في العالم العربي. وبشوي خلف تحفظ الجابري عن كونية الحداثة المطلقة وعُيْه بعلاقتها بهذه المشاريع التي تمثل صورة "الحداثة المنقوصة" على النحو الذي أظهره النقد المعاصر للحداثة وخطابها منذ نি�تشه<sup>(63)</sup>. ولم تلتزم أوروبا بوعودها الإنسانية التي قطعها منذ عصر الأنوار، من تعهد بالرقي بالإنسان وتحقيق مشروع السلم الدائم، وظل الاستعمار خير دليل على تناقض الحداثة لمبادئها<sup>(64)</sup>. فقد "تطور الأمر بالحداثة الأوروبية إلى الاستعمار والإمبريالية على المستوى الخارجي، وإلى سجن الإنسان على المستوى الداخلي، الأوروبي - الأمريكي، في نظام اجتماعي اقتصادي ثقافي تكنولوجي جعل منه إنساناً ذا بعد واحد [...]"، وبذلك فقدت الحداثة الأوروبية طابعها الإنساني وأصبحت هدفاً لسهام النقد في الغرب<sup>(65)</sup>. يضعنا هذا الوعي النقدي بالحداثة أمام مأزق تلقي الفكر العربي لها، بل يكشف عن جزء من هذا "الجرح الأصلي" الذي خلفه السياق التاريخي لتلقي الحداثة عند كبار مفكريه<sup>(66)</sup>، وعجل بالانفتاح على النقد المعاصر لها حتى من دون تبيّن البون الكبير القائم بين نقدتها هنا، عندنا في العالم العربي، ونقدتها هناك في الغرب المتشبع بقيم العقل والعقلانية؛ حيث يbedo نقدتها نتيجة لذلك التشبع نفسه، ومحاولته للبحث في العقل المنتج له عن هوامشه المنسية.

في هذا السياق عينه يصوغ سبيلا تصوره لخطاب ما بعد الحداثة الذي لم ينفصل، عنده، عن سياق الحداثة الغربية وأشكال تلقيها. ولعل ما امتاز به تشييده على أنّ للحداثة شروطها التاريخية التي تمثل سياق نشأتها، وأن احترز لها في مفهوم فلسفي لا ينبغي أن يحجب عنا تعدد مستوياتها ومسارات تشكيلها. والوعي بهذه الحقيقة هو ما يفسّر تحفظه عن التوظيف المتسرّع لمفهوم ما بعد الحداثة من طرف كثير من الباحثين والمتألّفون العرب، الذين وجدوا فيه خير بديل من الحداثة، معتقدين أنّ ما بعد الحداثة تبقى العالمة الفارقة على فشل المشروع الحداثي وتبيّد كلّ وعده الأنوارية المبشرة بانتصار الإنسان.

لا ينظر سبيلا إلى "ما بعد الحداثة" باعتبارها مجاوزة وقطيعة مع الحداثة، وإنما هي تعميق لها ولنفسها النقدي. فالحداثة، بطبيعتها، عبارة عن قطيعة مستمرة ومراجعة نقدية لذاتها. وهو لم يتردد، لهذا السبب تحديداً، في وصف مصطلح "ما بعد الحداثة" بأنّه "مصطلح خصوصي ومضلل"<sup>(67)</sup>، ويفضّل إبداله بمفهوم الحداثة البعدية درءاً لسوء الفهم الناجم عمّا توحّي به عبارة "ما بعد" من نهاية الحداثة من الناحية الزمنية والدخول في مرحلة جديدة مختلفة عنها نوعياً. والحال أنّ ما بعد الحداثة

(63) يحيل الجابري، في هذا المقام، إلى نقد ماركوز للحداثة، ولهذا الأمر دلالته بحكم انتهاء الجابري كثيراً من عناصر نقده للحداثة، وخاصة ما تعلق منه بموقع الإنسان الحديث في نظامها الاجتماعي والاقتصادي. ينظر: المرجع نفسه، ص 34.

(64) ريجيس دوبيي وريينو جيبار، ماذا تبقى من الغرب؟ ترجمة مراد ديانى (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023)، ص 38؛ عبد الإله بلقرزير، الغرب: صور ومقارنات؛ سردية نقدية (بيروت: منتدى المعارف، 2022)، ص 94.

(65) الجابري، المشروع النهضوي العربي، ص 34.

(66) محمد سبيلا، الحداثة وما بعد الحداثة (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2007)، ص 42.

(67) محمد سبيلا، دفاعاً عن العقل والحداثة (الرباط: منشورات الزمن، 2003)، ص 49.

ليـسـتـ مرـحـلـةـ جـديـدـةـ مـخـتـلـفـةـ جـوـهـرـيـاـ عـنـ الـحـدـاثـةـ،ـ وـإـنـمـاـ هيـ دـفـعـ بـمـبـادـئـ الـأـخـيـرـةـ إـلـىـ آـفـاقـ أـعـمـقـ وـأـبـعـدـ.ـ وـهـذـاـ ماـ تـجـلـىـ فـيـ التـحـوـلـاتـ الـجـذـرـيـةـ الـتـيـ عـاـشـتـهـاـ الـمـجـتـمـعـاتـ الـغـرـبـيـةـ إـبـانـ الـقـرـنـ الـعـشـرـيـنـ عـلـىـ مـخـتـلـفـ الـمـسـتـوـيـاتـ؛ـ الـاـقـتـصـادـيـ،ـ الـفـنـيـ،ـ الـتـقـنـيـ،ـ الـقـاـفـيـ،ـ الـعـلـمـيـ ...ـ إـلـخـ.ـ وـيـقـولـ سـيـلـاـ "ـإـنـ تـيـارـاتـ الـحـدـاثـةـ الـبـعـدـيـةـ هـيـ اـسـتـمـرـارـ لـمـنـطـقـ الـحـدـاثـةـ وـتـعـمـيقـ لـمـنـظـورـهـاـ،ـ وـمـنـ ثـمـةـ فـهـيـ مـحـمـلـةـ بـشـحـنـهـ لـأـدـرـيـةـ وـعـدـمـيـةـ أـكـبـرـ"ـ.<sup>(68)</sup>

ولـتـوضـيـعـ هـذـاـ المـوـقـفـ،ـ يـرـجـعـ سـيـلـاـ إـلـىـ السـيـاقـ السـوـسـيـوـلـوـجـيـ لـنـشـأـةـ مـصـطـلـحـ ماـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ وـخـطـابـهـ،ـ وـهـوـ سـيـاقـ التـفـكـيرـ فـيـ الـمـجـتـمـعـ الـاـسـتـهـلـاـكـيـ الـذـيـ كـانـ نـقـدـهـ العنـوانـ الـأـكـبـرـ وـالـأـبـرـزـ لـهـذـاـ الـخـطـابـ.ـ فـقـدـ "ـتـوـلـدـ لـدـىـ كـلـ الـمـلـاـحـظـيـنـ وـالـبـاحـثـيـنـ وـالـمـفـكـرـيـنـ اـقـتـنـاعـ بـأـنـ الـمـجـتـمـعـ الـغـرـبـيـ دـخـلـ مـرـحـلـةـ جـديـدـةـ فـيـ تـارـيـخـ تـطـوـرـهـ.ـ وـمـهـمـاـ تـعـدـدـتـ أـوـ تـلـوـنـتـ التـسـمـيـاتـ فـهـيـ إـنـمـاـ تـعـبـرـ عـنـ تـحـوـلـ يـتـفـقـ عـلـىـ،ـ لـكـنـ يـخـتـلـفـ فـيـ مـرـجـعـيـةـ تـسـمـيـتـهـ وـالـنـظـرـ إـلـيـهـ،ـ مـثـلـمـاـ يـخـتـلـفـ بـصـدـدـ عـلـاـقـةـ الـمـرـحـلـةـ الـجـديـدـةـ بـالـسـابـقـةـ،ـ وـإـذـاـ مـاـ كـانـتـ هـذـهـ تـشـكـلـ تـحـوـلـاـ نـوـعـيـاـ وـقـطـيـعـةـ جـذـرـيـةـ مـعـ سـابـقـتـهـاـ"<sup>(69)</sup>.ـ وـخـلـفـ هـذـاـ الـخـلـافـ بـيـنـ الدـارـسـيـنـ حـوـلـ ظـاهـرـةـ التـحـوـلـ الـكـبـيرـ الـذـيـ دـاهـمـ الـمـجـتـمـعـاتـ الـغـرـبـيـةـ الـحـدـاثـيـةـ،ـ يـتـوـيـ اـقـتـنـاعـ مـؤـدـاهـ أـنـ الـحـدـاثـةـ أـدـرـكـتـ مـرـحـلـةـ قـطـيـعـةـ مـعـ لـحـظـاتـهـاـ الـتـأـسـيـسـيـةـ الـكـبـرـيـ،ـ وـأـنـهـ أـفـرـزـتـ وـضـعـاـ مـأـزـوـمـاـ بـاـتـ الـإـنـسـانـ الـحـدـيـثـ أـكـبـرـ ضـحـيـاـهـ.ـ وـتـجـلـتـ مـظـاهـرـ تـلـكـ التـحـوـلـاتـ فـيـ الـمـسـتـوـيـ الـاـقـصـادـيـ وـالـجـمـعـاـيـيـ وـالـقـيـمـيـ الـأـخـلـاـقـيـ،ـ وـتـرـجـمـتـ نـفـسـهـاـ أـيـضـاـ فـيـ الـفـنـ الـمـعـاـصـرـ بـمـخـتـلـفـ أـشـكـالـهـ وـقـطـاعـاتـهـ،ـ قـبـلـ أـنـ يـشـيـعـ خـطـابـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ،ـ فـيـ بـعـدـ الـفـلـسـفـيـ الـنـقـدـيـ الـأـكـثـرـ رـادـيـكـالـيـ،ـ صـرـحـ الـعـقـلـ الـحـدـيـثـ إـلـىـ مـثـواـهـ الـأـخـيـرـ،ـ مـعـلـنـاـ مـوـتـ الـإـنـسـانـ،ـ وـهـرـوـبـ الـأـلـهـ.ـ غـيـرـ أـنـ هـذـهـ التـحـوـلـاتـ لـمـ تـكـنـ تـعـنـيـ،ـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ سـيـلـاـ،ـ دـلـيـلـاـ عـلـىـ الـخـرـوـجـ مـنـ الـحـدـاثـةـ وـفـشـلـ مـشـرـوـعـهـاـ الـتـنـوـيرـيـ،ـ بـقـدـرـ مـاـ كـانـتـ تـعـمـيـقـاـ لـأـبـرـزـ السـيـرـوـرـاتـ الـمـؤـسـسـةـ لـلـمـجـتـمـعـ الـحـدـيـثـ،ـ وـالـتـيـ مـاـ اـنـفـكـرـوـهـ يـحـلـلـونـهـاـ لـفـهـمـ مـنـطـقـ تـشـكـلـهـ وـاـشـتـغالـهـ،ـ كـمـ هـوـ بـيـنـ مـنـ أـعـمـالـ إـمـيلـ دـورـكـاـيـمـ Emil Durkheim (1858-1917) (الـتـمـاـيـزـ الـوـظـيـفـيـ) وـمـارـكـسـ (الـتـسـلـيـعـ) وـفـيـرـ (الـعـقـلـةـ).ـ وـيـقـولـ سـيـلـاـ:ـ إـنـ "ـمـجـتـمـعـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ هـوـ الـمـجـتـمـعـ الـذـيـ بـلـغـ فـيـ الـعـمـلـيـاتـ الـمـذـكـورـةـ سـابـقـاـ ذـرـوـتـهـاـ،ـ بـلـ تـدـاـخـلـتـ وـلـاـمـسـتـ بـعـضـهـاـ لـتـخـلـقـ حـالـةـ مـنـ التـدـاـخـلـ لـاـ تـخـلـوـ مـنـ إـبـهـامـاتـ وـإـبـهـامـاتـ"<sup>(70)</sup>.ـ إـنـاـ،ـ إـذـاـ،ـ أـمـامـ سـرـعـةـ ثـانـيـةـ لـلـحـدـاثـةـ عـمـقـتـ مـسـارـهـاـ وـدـفـعـتـ بـسـيـرـوـرـاتـهـاـ صـوبـ آـفـاقـ اـجـتـمـاعـيـةـ وـذـهـنـيـةـ جـديـدـةـ.ـ وـعـبـاـ يـعـتـقـدـ أـعـدـاءـ الـحـدـاثـةـ عـنـدـنـاـ أـنـ الـمـجـتـمـعـاتـ الـغـرـبـيـةـ اـرـتـدـتـ عـنـ الـحـدـاثـةـ إـلـىـ التـقـلـيدـ،ـ وـعـنـ الـعـقـلـ إـلـىـ الـلـاعـقـلـ،ـ وـعـنـ الـحـرـيـةـ إـلـىـ الـتـبـعـيـةـ وـالـطـاعـعـةـ؛ـ فـزـمـنـيـةـ الـحـدـاثـةـ لـاـ تـقـبـلـ الـنـكـرـصـ إـلـىـ الـمـاضـيـ.ـ وـإـذـاـ كـانـ الـفـكـرـ الـمـعـاـصـرـ قـدـ شـهـدـ تـصـاعـدـ تـيـارـاتـ فـكـرـيـةـ تـحـتـفـلـ بـالـلـاعـقـلـ فـيـ مـوـاجـهـةـ الـعـقـلـ،ـ وـبـالـهـامـشـ فـيـ مـوـاجـهـةـ الـمـرـكـزـ،ـ وـبـالـمـخـيـلـةـ ضـدـاـ عـلـىـ الـوـاقـعـ وـالـحـقـيـقـةـ ...ـ إـلـخـ،ـ فـإـنـ ذـلـكـ لـاـ يـأـذـنـ لـنـاـ بـالـحـدـاثـةـ عـنـ نـهـاـيـةـ الـحـدـاثـةـ باـعـتـارـهـاـ رـؤـيـةـ إـلـىـ الـعـالـمـ وـالـإـنـسـانـ وـالـزـمـنـ،ـ وـلـاـ يـحـولـ دـوـنـ الـتـفـكـيرـ الـجـدـيـ فـيـ إـمـكـانـيـاتـ تـرـسـيـخـهـاـ وـاستـيـعـابـ مـكـتـسـبـاتـهـاـ.

(68) المرجع نفسه، ص 50.

(69) المرجع نفسه، ص 68.

(70) المرجع نفسه، ص 70.

وبصرف النظر عن تصاعد فكرة النهايات في جل مناهي التفكير الفلسفى المعاصر، والتي وجد فيها كثيرٌ من الباحثين دليلاً قاطعاً على طغيان نزعة عدمية على فكر ما بعد الحداثة، فإنّ سبيلاً لم يرَ في تلك الفكرة إلا تعبيراً بлагيًّا عن سرعة التحول والانتقال التي عاشهما الوجود الإنساني في العصر الحديث بمختلف مستوياته. فالحديث عن نهاية الحقيقة، والفن، والعقل، والميتافيزيقاً، كما عن موت الإنسان على هذا النحو الجنائزي الذي يحلو للكثيرين الانسياق وراءه، والنظر إليه على أنه علامة على موت الحداثة نفسها، كل ذلك لا يكفي لإنكار شرط الحداثة و حاجتنا إلى الوعي بقوتها في حياتنا المعاصرة. نقرأ لسبيلاً قوله: "إنَّ هذه البلاغات الجنائزية المتعلقة بالموت وبالنهايات لا تخرج عن إطارين؛ إطار التحوّلات النوعية المفصلية السريعة التي تخصّ وتيرة تطور الحداثة، وتعكس الأزمة الدورية والتحول الدوري المستمر، كما تعكس فكرة أساسية تجمع بين كل هذه النهايات والموتات؛ وهي غياب الفاعل المفترض أو غياب الفاعل المطلق وسيادة السيرورات والصيرورات"<sup>(71)</sup>. واصبح أننا أمام تصوّر انفصالي للحداثة وتاريخها، لا يكتفي بالنظر إليها من منظور التقدّم التاريخي الاتصالي، إنما يعتبرها قطعية مستمرة مع ذاتها. ومتى نظرنا إلى الحداثة من هذا المنظور أدركنا أن الحديث عن ما بعد الحداثة كطريق لصفحة الحداثة يبقى أمراً من باب التزيد والمبالغة لا غير. فالحداثة في جوهرها صراع لا يتوقف، وهي "في عمقها من زاوية الزمان توتر حاد وقاتل بين جاذبيتين زميتين قويتين؛ بين ارتدادات الماضي واشتبابات المستقبل". من هذا المنظور يبقى موقف ما بعد الحداثة جزءاً من "التطور الخلائق" للحداثة، فهذه الأخيرة، يقول سبيلاً، "توتر خلاق، توتر زمني يتجاوز ذاته باستمرار لا عن طريق نفي ماضيه وأرمنته السحرية، بل عن طريق صوغها وإعادة عجنها ضمن تركيبة جديدة يمثلها المستقبل"<sup>(72)</sup>.

يلخص سبيلاً تصوّره لمفهوم ما بعد الحداثة بقوله: "يبدو إذًّا أن ما بعد الحداثة هي تعميق لمسار الحداثة، أو هي سرعة ثانية للحداثة، بمعنى أنها استمرار لمنطق الحداثة ولعمقها الصائر حيث هي نقد مستمر وتجاوز مستمر لذاتها. فما بعد الحداثة هي الحداثة السافرة، الحداثة بدون مساحيق وبدون أوهام [...]. هكذا يبدو أنها تحولات كمية كبرى، لكنها ليست تحولات نوعية"<sup>(73)</sup>. ويعيّث هذا القول رسالة إلى المتوجسين من الحداثة كما إلى خصومها ممن ركبوa موجة ما بعد الحداثة لتسفيه الفكر الحديث والطعن في مكتسباته، والدعوة إلى إنعاش التقليد المطل علينا من ثقافتنا وتراثنا. فالحداثة تبقى، من منظور سبيلاً، الأفق الوحيد الممكّن أمام الإصلاح، لأنَّ وضعاً التاريخي والاجتماعي والسياسي لا يزال في حاجة إلى مكتسبات الحداثة من أجل تنوير الإنسان وصناعة دولة الحق ومجتمع العدالة والإنصاف. أمّا اللهم وراء شعارات موت الإنسان، وموت الدولة، وعبيبة الحرية؛ أي وراء عدمية مطلقة، فليس من شأنه إلا أن يكرّس وضعية التأخر التي لم نستطع بعد الخروج منها.

(71) سبيلاً، دفاعاً عن العقل والحداثة، ص 45.

(72) المرجع نفسه، ص 42.

(73) المرجع نفسه.

## خاتمة

حاولنا في أعقاب ما تقدم بيان أبرز إشكال تلقي الفكر الفلسفـي المـغـربـي لـخطـابـ ما بعدـ الحـدـاثـةـ، وـكانـ عليناـ أنـ تـجـنـبـ الـبـحـوـثـ الـتـيـ اـتـخـذـتـ طـابـعـاـ أـكـادـيـمـيـاـ يـكـتـفـيـ بـالـتـعـرـيـفـ بـرـمـوزـ ماـ بـعـدـ الحـدـاثـةـ الـفـلـسـفـيـةـ وـدـرـاسـةـ مـتـوـنـهـمـ، مـنـ أـجـلـ تـعـقـبـ مـفـعـولـ هـذـاـ لـخـطـابـ فـيـ تـشـكـلـ القـوـلـ الـفـلـسـفـيـ الـمـغـربـيـ الـمـعاـصـرـ. وـنـسـجـلـ أـنـ التـرـكـيزـ عـلـىـ إـشـكـالـيـةـ الـمـيـتـافـيـزـيـقاـ حـالـ دـوـنـ الـاحـتـفـالـ بـالـأـبـعـادـ الـأـخـرـىـ لـإـشـكـالـيـةـ ماـ بـعـدـ الحـدـاثـةـ، مـنـ قـبـيلـ صـلـةـ خـطـابـهاـ بـالـلـيـبـرـالـيـةـ الـجـدـيـدـةـ وـمـوـجـةـ الـعـوـلـمـةـ وـمـنـظـرـهاـ الـاـقـتـصـادـيـ وـاقـتـرـانـهاـ بـالـمـجـمـعـ الـصـنـاعـيـ وـأـسـئـلـتـهـ ...ـ إـلـخـ<sup>(74)</sup>. لـذـلـكـ تـبـدوـ مـحاـوـلـةـ اـسـتـقـدـامـ أـسـئـلـتـهـ الـاـجـتـمـاعـيـةـ، مـنـ قـبـيلـ مـسـأـلـةـ الـهـامـشـ وـالـمـرـكـزـ،ـ وـالـجـنـسـ وـالـاـخـتـلـافـ،ـ وـالـعـاـلـقـةـ بـيـنـ الـطـبـقـاتـ الـاـجـتـمـاعـيـةـ وـالـاـقـتـصـادـيـةـ،ـ وـأـزـمـةـ الـفـضـاءـ الـعـمـومـيـ وـالـمـوـاـطـنـةـ الـعـالـمـيـةـ وـغـيـرـهـاـ فـيـ حـاجـةـ إـلـىـ أـقـلـمـةـ وـتـطـوـيـعـ حـتـىـ تـغـدوـ أـقـدـرـ عـلـىـ اـسـتـيـعـابـ خـصـوـصـيـةـ الـمـجـمـعـ الـمـغـربـيـ وـأـسـئـلـتـهـ الـفـكـرـيـةـ وـالـقـاـفـيـةـ.ـ وـنـلـاحـظـ أـيـضـاـ أـنـ تـسـوـيـغـ الـاـنـشـغـالـ بـهـذـاـ لـخـطـابـ اـعـتـمـادـاـ عـلـىـ فـرـصـيـةـ كـوـنـيـتـهـ فـحـسـبـ،ـ حـتـىـ فـيـ بـعـدـهـ الـمـنـهـجـيـ،ـ قـدـ لـاـ يـكـوـنـ كـافـيـاـ لـبـلـوـرـةـ فـهـمـ مـعـقـولـ لـصـلـتـنـاـ بـهـ؛ـ إـذـ الـحـدـيثـ عنـ وـضـعـ مـيـتـافـيـزـيـقـيـ كـوـنـيـ،ـ مـثـلـ مـفـهـومـ مـوـتـ الـمـيـتـافـيـزـيـقاـ أـوـ نـهـاـيـتـهـ،ـ لـاـ يـكـفـيـ لـإـثـبـاتـ كـوـنـيـتـهـ هـذـاـ الـوـضـعـ،ـ لـذـلـكـ يـدـوـ اـسـتـدـعـاءـ نـقـدـ الـمـيـتـافـيـزـيـقاـ وـمـنـظـرـهـ الـمـنـهـجـيـ أـسـبـهـ بـإـسـقـاطـ لـإـشـكـالـيـاتـ نـضـجـتـ فـيـ سـيـاقـ مـرـاجـعـةـ الـعـقـلـ الـغـرـبـيـ لـتـطـوـرـهـ الـخـاصـ عـلـىـ وـضـعـ فـكـرـيـ وـ ثـقـافـيـ لـاـ يـشـارـكـ الـفـكـرـ الـغـرـبـيـ الـإـشـكـالـيـةـ عـيـنـهـ.ـ فـمـوـتـ الـحـقـيـقـةـ هـنـاكـ قـدـ لـاـ يـعـنـيـ مـوـتـهـ هـنـاكـ؛ـ وـعـوـدـةـ الـدـيـنـيـ هـنـاكـ لـاـ تـعـنـيـ عـوـدـهـ هـنـاكـ (ـ طـالـمـاـ أـنـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ لـمـ يـشـهـدـ عـمـلـيـةـ نـزـعـ السـحـرـ عـنـ الـعـالـمـ نـفـسـهـاـ الـتـيـ عـرـفـهـاـ الـعـالـمـ الـغـرـبـيـ )ـ ...ـ إـلـخـ،ـ بـلـ غالـبـاـ مـاـ يـجـرـيـ تـجـاهـلـ صـلـةـ إـشـكـالـيـةـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ بـأـزـمـةـ الـمـجـمـعـ الـغـرـبـيـ كـمـاـ هـوـ وـاـضـعـ مـنـ تـعـيـرـاتـهـ الـفـنـيـةـ وـالـمـعـمـارـيـةـ،ـ وـيـصـبـعـ أـنـ نـنـكـرـ أـنـ كـثـيرـاـ مـنـ مـكـتـسـبـاتـ الـنـقـدـ الـجـنـرـيـ لـلـحـدـاثـةـ يـوـظـفـهـ خـصـوـصـيـةـ مـشـرـوـعـيـةـ فـكـرـةـ الـحـدـاثـةـ فـيـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ الـمـعاـصـرـ،ـ وـهـذـاـ مـاـ يـسـتـلـزـمـ،ـ كـمـاـ يـرـىـ سـبـيلاـ،ـ تـصـحـيـحـ مـفـهـومـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ فـيـ الـفـكـرـ الـفـلـسـفـيـ الـعـرـبـيـ وـالـتـنـبـيـهـ إـلـىـ صـلـتـهـ الـوـثـيقـةـ بـالـمـشـرـوـعـ الـحـدـاثـيـ الـتـنـوـيـرـيـ الـذـيـ نـحـنـ فـيـ حـاجـةـ مـلـحـةـ إـلـيـهـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ وـعـيـنـاـ السـيـاسـيـ وـالـأـخـلـاـقـيـ وـالـدـيـنـيـ وـالـعـلـمـيـ.ـ وـيـعـنـيـ هـذـاـ الـقـوـلـ،ـ فـيـ جـمـلـةـ مـاـ يـعـنـيـهـ،ـ أـنـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ خـطـابـ أـفـرـزـهـ مـسـارـ نـقـدـ الـحـدـاثـةـ الـغـرـبـيـةـ وـمـجـمـعـهـاـ،ـ وـهـوـ بـذـلـكـ مـقـتـنـ بـهـذـاـ الـأـخـيـرـ،ـ وـإـذـ كـانـ مـنـ الـمـمـكـنـ أـنـ نـتـحـدـثـ عـنـ "ـمـاـ بـعـدـ حـدـاثـةـ عـرـبـيـةـ"ـ،ـ فـإـنـهـ لـنـ يـكـوـنـ غـيـرـ الـمـرـاجـعـةـ الـتـيـ سـتـنـجـزـهـاـ الـحـدـاثـةـ الـعـرـبـيـةـ لـنـفـسـهـاـ عـنـدـمـاـ تـبـلـغـ ذـرـاـهـاـ،ـ وـهـذـاـ أـمـرـ لـمـ يـتـحـقـقـ بـعـدـ.ـ إـنـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ عـنـدـنـاـ مـشـرـوـعـ يـنـتـظـرـ تـحـقـقـ الـحـدـاثـةـ،ـ الـتـيـ لـاـ تـزـالـ عـنـدـنـاـ هـيـ الـأـخـرـىـ مـشـرـوـعـاـ لـمـ يـتـحـقـقـ بـعـدـ.

## References

## المراجع

### العربية

- إيغلتون، تيري. *أوهام ما بعد الحداثة*. ترجمة منى سلام. بيروت: أكاديمية الفنون، 1996.
- باومان، زيجمونت. *الحداثة السائلة*. ترجمة حجاج أبو جبر. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2016.

(74) Anderson, p. 109.

بتلر، كريستوفر. ما بعد الحداثة: مقدمة قصيرة جداً. ترجمة نيفين عبد الرؤوف. القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2017.

بغورة، الزواوي. ما بعد الحداثة والتلوير: موقف الأنطولوجيا التاريخية. بيروت: دار الطليعة، 2009.

بلقزيز، عبد الإله. الغرب: صور ومقارقات: سردية نقدية. بيروت: منتدى المعرفة، 2022.

بنعبد العالى، عبد السلام. أسس الفكر الفلسفى المعاصر. الدار البيضاء: منشورات توبيقال، 1998.

\_\_\_\_\_ . الفلسفة السياسية عند الفارابي. بيروت: دار الطليعة، 1999.

\_\_\_\_\_ . الخطيبى والفلسفه، ضمن أعمال ندوة: عبد الكبير الخطيبى: أي إرث ترك لنا؟ الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، 2019.

الترىكى، فتحى وعبد الوهاب المسىرى. الحداثة وما بعد الحداثة. بيروت: دار الفكر المعاصر، 2020.

الجابري، محمد عابد. وجهة نظر: نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر. ط 5. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2015.

\_\_\_\_\_ . المشروع النهضوى العربى: مراجعة نقدية. ط 5. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016.

الحاج صالح، رشيد. "نقد فلسفة طه عبد الرحمن الايثمانية: تداخل السياسة والدين والأخلاق والحداثة". تبیین. مج 13، العدد 50 (خريف 2024).

الخطيبى، عبد الكبير. "المغرب كقضية فلسفية". أفلام، العدد 3 (نisan / أبريل 1978).

\_\_\_\_\_ . النقد المزدوج. الرباط: منشورات عكاظ، 2000.

دراج، فيصل. "ما بعد الحداثة في عالم بلا حداثة". مجلة الكرمل. العدد 51 (1997).

دوبى، ريجيس وريينو جيرار. ماذا تبقى من الغرب؟ ترجمة مراد ديانى. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023.

سييلا، محمد. دفاعاً عن العقل والحداثة. الرباط: منشورات الزمن، 2003.

\_\_\_\_\_ . الحداثة وما بعد الحداثة. ط 2. الدار البيضاء: دار توبيقال للنشر، 2007.

\_\_\_\_\_ . في الشرط الفلسفى المعاصر. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2008.

سي دانتو، آرثر. بعد نهاية الفن: الفن المعاصر وحدود التاريخ. ترجمة هادية العرقى. البحرين: هيئة البحرين للثقافة والآثار، 2021.

عبد الرحمن، طه. *فـقـهـ الـفـلـسـفـةـ:ـ الـمـفـهـومـ وـالـتـأـثـيلـ*. ط. 2. بيـرـوـتـ/ـ الدـارـ الـبـيـضـاءـ:ـ الـمـرـكـزـ الـثـقـافـيـ الـعـرـبـيـ،ـ 2005ـ.

\_\_\_\_\_. *رـوـحـ الـحـدـاثـةـ:ـ الـمـدـخـلـ إـلـىـ تـأـسـيـسـ الـحـدـاثـةـ إـلـاـسـلـامـيـةـ*. ط. 3. بيـرـوـتـ/ـ الدـارـ الـبـيـضـاءـ:ـ الـمـرـكـزـ الـثـقـافـيـ الـعـرـبـيـ،ـ 2013ـ.

\_\_\_\_\_. *الـفـيـلـسـفـ اـبـنـ سـاعـةـ*. الـرـبـاطـ:ـ مـرـكـزـ مـغـارـبـ،ـ 2025ـ.

العروـيـ،ـ عـبـدـ الـلـهـ.ـ الـأـيـدـيـوـلـوـجـيـاـ الـعـرـبـيـةـ الـمـعـاـصـرـةـ.ـ بيـرـوـتـ/ـ الدـارـ الـبـيـضـاءـ:ـ الـمـرـكـزـ الـثـقـافـيـ الـعـرـبـيـ،ـ 1999ـ.

\_\_\_\_\_. *مـفـهـومـ الـعـقـلـ:ـ مـقـالـةـ فـيـ الـمـفـارـقـاتـ*. بيـرـوـتـ/ـ الدـارـ الـبـيـضـاءـ:ـ الـمـرـكـزـ الـثـقـافـيـ الـعـرـبـيـ،ـ 1999ـ.

\_\_\_\_\_. *الـعـرـبـ وـالـفـكـرـ الـتـارـيـخـيـ*. بيـرـوـتـ/ـ الدـارـ الـبـيـضـاءـ:ـ الـمـرـكـزـ الـثـقـافـيـ الـعـرـبـيـ،ـ 2006ـ.

\_\_\_\_\_. *عـوـائـقـ الـتـحـدـيـثـ*. الـرـبـاطـ:ـ مـنـشـورـاتـ اـتـحـادـ كـتـابـ الـمـغـرـبـ،ـ 2007ـ.

عـونـ،ـ مـشـيرـ باـسـيلـ.ـ هـاـيـدـغـرـ وـالـفـكـرـ الـعـرـبـيـ.ـ تـرـجـمـةـ إـيـلـيـ أـنـيـسـ نـجـمـ.ـ الـدـوـحـةـ/ـ بـيـرـوـتـ:ـ الـمـرـكـزـ الـعـرـبـيـ،ـ 2015ـ.

الـمـسـكـيـنـيـ،ـ فـتـحـيـ.ـ الـهـوـيـةـ وـالـزـمـانـ:ـ تـأـوـيـلـاتـ فـيـنـوـمـيـنـوـلـوـجـيـةـ لـمـسـأـلـةـ "ـالـنـحـنـ"ـ.ـ بـيـرـوـتـ:ـ دـارـ الـطـلـيـعـةـ،ـ 2001ـ.

\_\_\_\_\_. *الـكـوـجـيـتـوـ الـمـجـرـوـحـ:ـ أـسـئـلـةـ الـهـوـيـةـ فـيـ الـفـلـسـفـةـ الـمـعـاـصـرـةـ*. بيـرـوـتـ:ـ دـارـ الـأـمـانـ؛ـ مـنـشـورـاتـ ضـفـافـ؛ـ الـجـزـائـرـ:ـ مـنـشـورـاتـ اـخـلـافـ،ـ 2013ـ.

ماـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ:ـ 1ـ تـحـدـيـدـاتـ.ـ إـعـدـادـ وـتـرـجـمـةـ مـحـمـدـ سـيـلاـ وـعـبـدـ السـلـامـ بـنـعـبـدـ الـعـالـيـ.ـ دـفـاتـرـ فـلـسـفـيـةـ 13ـ.

الـدـارـ الـبـيـضـاءـ:ـ دـارـ تـوـبـقـالـ لـلـنـشـرـ،ـ 2007ـ.

الـمـسـيـرـيـ،ـ عـبـدـ الـوـهـابـ وـفـتـحـيـ الـتـرـيـكـيـ.ـ الـحـدـاثـةـ وـمـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ.ـ سـلـسـلـةـ حـوـارـاتـ لـقـرـنـ جـدـيدـ.

دـمـشـقـ:ـ دـارـ الـفـكـرـ،ـ 2003ـ.

هـارـفـيـ،ـ دـيفـيدـ.ـ حـالـةـ مـاـ بـعـدـ الـحـدـاثـةـ:ـ بـحـثـ فـيـ أـصـوـلـ التـغـيـرـ الـثـقـافـيـ.ـ تـرـجـمـةـ مـحـمـدـ شـيـاـ.ـ بـيـرـوـتـ:

الـمـنـظـمـةـ الـعـرـبـيـةـ لـلـتـرـجـمـةـ،ـ 2005ـ.

### الأجنبية

Khatibi, Abdelkbir. *Maghreb pluriel*. Paris: Denoël; Rabat: SMER, 1983.

\_\_\_\_\_. *Derrida en effet*. Paris: Al Manar, 2008.

Taylor, Charles. *Les sources du moi: La formation de l'identité moderne*. Paris: Seuil, 1998.

Gadamer, Hans-Georg. *Les chemins de Heidegger*. Jean Grondin (trad.). Paris: Vrin, 2002.

- Lyotard, Jean-François. *La condition postmoderne*. Paris: Minuit, 1979.
- Habermas, Jürgen. *Le discours philosophique de la modernité*. Paris: Gallimard, 2011.
- Carré, Louis. *Axel Honneth: Le droit de la reconnaissance*. Paris: Michalon, 2013.
- Ferry, Luc. *Apprendre à vivre: Traité de philosophie à l'usage des jeunes générations*. Paris: Flammarion, 2009.
- Heidegger, Martin. *Essais et conférences*. Paris: Gallimard, 1958.
- \_\_\_\_\_. *Phénoménologie de la vie religieuse*. Jean Greisch (trad.). Paris: Gallimard, 2012.
- Arkoun, Mohammed. *Quand l'islam s'éveillera*. Paris: Albin Michel, 2018.
- Anderson, Perry. *Los orígenes de la postmodernidad*. Barcelona: Anagrama, 2000.
- Abderrahmane, Taha. *Langage et philosophie*. Rabat: Publications de la Faculté des lettres et des sciences humaines, 1979.
- Kisiel, Theodore & Thomas Sheehan. *Becoming Heidegger: On the Trail of His Early Occasional Writings, 1910–1927*. Evanston, IL: Northwestern University Press, 2007.